كتاب ختم الاولياء (تتمة)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

(السؤال السابع والستون) : وكيف مراتب الأولياء والأنبياء يوم الزيارة [١٠٧] ؟

١٠٧) « الجواب : ان كان يريد بالانبياء الرسل ، فمراتبهم المنابر الموضوعة في الصف الاول من الكثيب الابيض ، في وسط جنة عدن ، وهي جنة الزيادة (الصواب: الزيارة) . وان كان يريد الانبياء دون الرسل ، فمراتبهم الاسرّة – وهي في الصف الثاني – ؛ ثم الكراسي ، ثم المراتب » . (الجواب المستقيم ورقة ٢٤٧ ب – ٢٤٨ أ) .

« الجواب : ان الناس اذا جمعهم الله يوم الزيارة ، في جنة عدن ، على كثيب المسك الابيض ، نصب لهم منابر وأسرة وكراسي ومراتب .

فالانبياء على رتبتين : انبياء شرائع ، وانبياء أتباع . فأنبياء الشرائع في الرتبة الثانية من الرسل . والانبياء الاتباع في الرتبة الثالثة . والرتبة الثالثة تنقسم قسمين: قسم يسمى انبياء ، وقسم يسمى اولياء . والرتبة للأولياء بالاسم العام .

فاذا كان يوم الزيارة ، فكل نبيّ اخذ معرفة ربه من ربه ، ايمانًا لم يشبها بنظر فكري . فانه يشاهد ربه بعين ايمانه . والولي التابع له في إيمانه برب ، يراه بمرآة نبيه . فان كان هذا الولي حصل معرفة ربه بنظره واتخذ ذلك قربة من حيث ايمانه ، فله يوم الزيارة رؤيتان : رؤية علم ورؤية ايمان :

فان كان الولي من أولياء الفترات ، ولم يحصل له في معرفته بربه من المعارف الالهية التي جاءت بها الرسل ، وكانت معرفتهم برجم إما عن نظر وإما عن تجلٍّ إلاهي لقلبه ، أو كلاهما – فمثل هؤلاء يكونون بما هم اهل نظر في مرتبة اهل النظر في الرؤية . وان كانت معرفتهم عن كشف الاهي ، فان لهؤلاء صفًا على حدة يتميزون به عن سائر الخلق .

والجامع لهذا الباب ، ان الرؤية يوم الزيارة ، تابعة للاعتقادات في الدنيا . فمن اعتقد

في ربه ما اعطاه النظر وما اعطاه الكشف وما اعطاه تقليد رسوله – فإنه يرى ربه في صورة وجه كل اعتقاد ربط عليه . إلا انه في تقليده منه يراه بصورة منه من حيث ما أعلمه ذلك الرسول مما اوحى به اليه في معرفته بربه . فمثل هذا ثلاث تجليات ، ثلاثة اعين في الآن الواحد . وكذلك حكم صاحب النظر وحده ، أو صاحب الكشف وحده ، أو صاحب التقليد وحده .

فتتميز مراتب الاولياء الاتباع في الزيادة بتقدم الانبياء عليهم . والطبقتان اللتان ليستا بانبياء ولا اتباع ، فهم اولياء الله . لا يحكم عليهم مقام . يتميزون عن الجميع بالنسب الصحيح الى ربهم . غير ان اصحاب النظر منهم في المرتبة دون اصحاب الكشف . فبين الحق وبينهم في الرؤية حجاب فكرهم . كلما ارادوا ان يرفعوا ذلك الحجاب لم يستطيعوا . كأتباع الانبياء كلما حاولوا برفع حجب الانبياء عنهم ، حتى يروه دون هذه الواسطة ، لم يستطيعوا ذلك .

فلا تكون الرؤية الخالصة من الشوب الا لانبياء الرسل ، اهل الشرائع ولأهل الكشف خاصة . ومن حصل له هذا المقام ، مع كونه نائباً او صاحب نظر ، جمع له على قدر ما عنده ولو كان على ألف طريق . واما الرجال ، الذين سوّبوا اعتقاد كل معتقد بما وصله اليه وعلمه وقرره – فانه يوم الزيارة يرى ربه بعين كل اعتقاد .

فالناصح نفسه ، ينبغي له ان يبحث في دنياه على جميع المقالات في ذلك . ويعلم من أين أتيت كل واحد ، ذو مقالة ، مقالته . فاذا ثبت عنده من وجهها الخاص بها ، الذي به صحّت عنده ، وقال بها في حق ذلك المعتقد ولم ينكرها ولا ردّها – فانه يجني ثمرتها يوم الزيارة ، كانت تلك العقيدة ما كانت ! وهذا هو العلم الالهي الواسع .

والأصل في صحة ما ذكرناه ، ان كل ناظر في انه (هو) تحت حكم اسم من اسماء الله . فذلك الاسم هو المتجه له وهو المعطي له ذلك الاعتقاد بتجليه له من حيث لا يشعر . والاسماء الالهية كلها ، نسبتها الى الحق صحيحة . فرؤيته في كل اعتقاد ، مع الاختلاف ، صحيحة ليس فيها من الخفاء شيء . هذا يعطيه الكشف الأتم . فلم يخرج عن الله نظر ناظر ، ولا يصح ان يخرج . وانما الناس حجبوا عن الحق بالحق لوضوح الحق . فهذه الطائفة ، التي هي جذه المثابة من العلم بالله ، صفتها ، يوم الزيارة ، بمنزل . اذا انصرفوا من الزيارة ، يتخيّل كل صاحب اعتقاد انه منه . لانه يرى صورة اعتقاده فيها (في هذه الطائفة) كصورته . فهو محبوب بجميع الطوائف ، من يكون جذه الصفة . وكذلك كان في الدنيا .

وهذا القول ، الذي ذكرناه ، لا يعرفه الا المحققون من اهل الكشف والوجود . واما اصحاب النظر العقلي فلا يشمّون منه رائحة . فاجعل بالك لما ذكرناه ، واعمل عليه ، تمط

(السؤال الثامن والستون) : وما حظوظ الأنبياء من النظر اليه تعالى[١٠٨] ؟

(السؤال التاسع والستون) : وما حظوظ المحدثين من النظر إليه[١٠٩] ؟

(الاصل : نعلى) الالوهية حقها . ونكون ممن انصف ربه في العلم به . فان الله يتعالى أن يدخل تحت التقييد ، أو تضبطه صورة دون غيرها . ومن هنا نعرف عموم السعادة لجميع خلق الله ، واتساع الرحمة « التي وسعت كل شيء . »

(فتوحات : ٢ : ٨٤ — ٨٥)

١٠٨) « ان حظ كل طائفة منهم منه ، بحسب معرفته واعتقاده لا غير . وكل من تجلى له في صورة عقده أنكره » . (الجواب المستقيم ، ورقة $\frac{1}{٢٦٨}$ — يلاحظ ان ابن عربي هنا قد اجمل الاجابة على الاسئلة رقم ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ — في باب واحد) .

« الجواب : لا أدري ، فاني لست نبي . فذوق الانبياء لا يساويه سواهم . (هذا) ان اراد الانبياء الذين خصّهم الله بالتشريع العام والخاص جميعهم . فان اراد انبياء الاولياء ، فحظهم منه على قدر ما عندهم من وجوه الاعتقادات في الله . فان حصل على الجميع فحظه ما للجميع . فهو في النعيم العام . فيلتذ بلذة كل معتقد . فما اعظمها من لذة ! وان حصل على البعض ، فلذاته بحسب ما حصل له . وان انفرد بأمر واحد ، فحظه ما انفرد به من غير مزيد . فافهم ما ذكرناه ! »

(فتوحات : ٢ : ٨٥)

١٠٩) « الجواب : الحجاب الاقرب . فاذا شاهدوا (الاصل : شاهد) ربهم (الاصل : ربه) حصل لهم في المشاهدة من الحظ مثلما يحصل لهم من الكلام . إلا ان المحدثين يتميزون في الرؤية عن سائر الخلق : بأن التجلي يتنوع عليهم في المشهد الواحد ، وسائر الخلق ليس لهم هذا المقام فانه خصوص بالمحدثين . »

(فتوحات : ٢ : ٨٥)

$\overline{\text{ع}}$ — $\overline{\text{ع}}$ اي الله تعالى V = ٧ ، F = ٥ ، + وما حظوظ العامة فان للحظوظ بينهم في هذه الزيارة من التفاوت ما لا يطيق له البشر وصفاً وكما ان للجنة درجات فكذلك يوم الزيارة لهم درجات وكم بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وبين حظ غيره من الانبياء عليهم السلام وفي الاخبار موجود VF .

$\overline{\text{ف}}$ — $\overline{\text{ف}}$: — VF (وهذه الاسئلة ثابتة في الفتوحات ٢ : ٨٥-٨٦ وفي الجواب المستقيم انظر نسخة يازيد رقم ٣٧٥٠ — $\frac{1}{٢٦٨}$) .

(السؤال السبعون) : وما حظوظ سائر الأولياء من النظر اليه[١١٠] ؟

(السؤال الحادي والسبعون) : وما حظوظ العامة من النظر اليه[١١١] ؟

(السؤال الثاني والسبعون) : وقوله ق : « ان الرجل منهم ينصرف بحظه من ربه فيذهل ق اهل الجنان عن نعيمهم ، اشتغالا بالنظر اليه »[١١٢] ؟

---

١١٠) « الجواب : الاولياء على مراتب . فيختلف حظوظهم باختلاف مراتبهم . فولي حظه من النظر اليه لذة عقلية . وولي حظه من ذلك لذة نفسية . وولي حظه من ذلك لذة حسية . وولي حظه من ذلك لذة خيالية . وولي حظه من ذلك لذة مكيفة . وولي حظه من ذلك لذة غير مكيفة . وولي حظه من ذلك لذة يثقال تكييفها . وولي حظه من ذلك لذة لا يثقال تكييفها . — فهم درجات عند الله ، كما كانوا في الدنيا . كما قال تعالى : « هم درجات عند الله . والله بصير بما يعملون » .

(فتوحات : ٢ : ٨٥–٨٦)

١١١) « الجواب : حظوظ العامة من النظر اليه على قدر ما فهموه عمن قلدوه من العلماء على طبقاتهم . فمنهم من ألقى اليه عالمه ما عنده . ومنهم من ألقى اليه عالمه على قدر ما علم من عقله وقبوله . — فان الفطر مختلفة متفاضلة بحسب ما ألقى الله عندها . فاما أقسام اصلها المزاج الذي ركبه الله عليه . وهو السبب في اختلاف نظر العلماء بافكارهم في المعقولات . فيكون حظهم في لذة النظر حظهم فيما تخيل لهم . فالعامة حظوظهم خيالية ، لا يقدرون على التجريد عن المواد . ولهذا أكثر الشريعة جاءت على فهم العامة ، وتأتي فيها تلويحات للخاصة : مثل قوله تعالى « ليس كمثله شيء » و « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » . (فتوحات : ٣ : ٨٦)

١١٢) « الجواب : ذلك للباس صورة ما رأى ودخوله فيها من الانوار . كصور السوق التي في الجنة سواء ؛ الا ان الصفات تتفاضل . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٨ ب .)

« ذلك للباس الرائي صورة ما رأى . وسبب ذلك ان المقام عظيم في قلب كل طائفة ، وانه اعظم مما هم فيه من نعيم الاكوان في الجنان . فاذا دعوا الى الزيارة وبقي الازواج الجنانيون ، من الحور والولدان واشجار الجنان وانهارها وجميع ما فيها مما يتنعم به من الطيور والمراكب وغير ذلك ، والكل حيوان فانما الدار الحيوان — فاذا دعي صاحب المنزل ذكرًا كان او انثى من الثقلين بقي اهل المنزل مترقبين ما يأتون به اليهم من الخلع

ق فذهل V .

(السؤال الثالث والسبعون) : وما المقام المحمود [١١٢] ؟ .

الإلهية التي أورثهم النظر اليه . وبأي صورة يرجعون اليهم من ذلك المقام الاعظم اذا كان ذلك مشاهدة الملك . فاذا وردوا عليهم من الزيارة ، اذا قال الخليل للائكته : ردوهم الى قصورهم . وقد غشيهم من نور الرؤية ما غشيهم (الاصل : غشاهم) مما لا مناسبة بين ذلك وبين الجمال والبهاء الذي كانوا فيه قبل الزيارة ، مع تعظيم المقام ، الذي سروا اليه ، في قلوب اهل المنزل .

ثم انهم اذا رجعوا اليهم بصفة ما يشاهدونه في الرؤية ، اشرق الجنان بأنوارهم على مقاديرهم ، بصورة ما رأوه . فيجدون من الزيارة ما لم يكن عندهم ولا كانوا عليه . فهذا هو السبب في ذهولهم وحظ كل شخص من ربه ، على مقدار علمه وعقده في درجات العقائد واختلافها وكثرتها وقلتها ، كما قد تقرر قبل في هذه الفصول . فاعلم ذلك ! والله الهادي . — وفي سوق الجنة علم ما اشرنا اليه . »

(فتوحات: ٣: ٨٦)

١١٣) «الجواب فتح باب الشفاعة ؛ وهو له خاصة » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٤٨).

« الجواب: هو الذي يرجع اليه عواقب المقامات كلها ، واليه تنظر جميع الاسماء الالهية المختصة بالمقامات . وهو رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ويظهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة . وبهذا صحت له السيادة على جميع الخلق يوم العرض .

قال صلى الله عليه وسلم : « انا سيد الناس يوم القيامة » . وكان قد أقيم فيه آدم ، صلى الله عليه وسلم ، لما سجدت له الملائكة . فان ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا . وهو لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، في الآخرة . وهو كمال الحضرة المحمدية . وانما يظهر به اولا ابو البشر ، لكونه كان يتضمن جسده بَشَرِيَّة محمد صلى الله عليه وسلم . وهو الاب الاعظم في الجسمية ، والمقرب عند الله ، واول هذه النشأة الترابية الانسانية . فظهرت فيه المقامات كلها حتى المخالفة ، اذ كان جامعا للقبضتين : قبضة الوفاق وقبضة الخلاف . فما تحرك من آدم لمخالفة النهي إلا النسمة المجبولة على المخالفة . فكانت مخالفته نهي الله من تحرك تلك النسمة التي كان يحملها في ظهره ، فان المقام يقتضي له ذلك .

وسألت شيخنا ابا العباس عن ذلك . فقال : ما عصي من آدم ، عليه السلام ، إلا ما كان من اولاده المخالفين في ظهره . — وكانت العاقبة لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، في الدار الآخرة . فظهر في المقام المحمود . ومنه يفتح باب الشفاعات . فأول شفاعة يشفعها عند الله تعالى في حق من له اهلية الشفاعة من ملك ورسول ونبي ووليّ ومؤمن وحيوان ونبات وجماد . فيشفع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عند ربه لهؤلاء ان يشفعوا . فكان

(السؤال الرابع والسبعون) : وبأي شيء نالـه[١١٤] ؟

محمودًا بكل لسان وبكل كلام . فله اول الشفاعة ووسطها وآخرها .

يقول الله : « شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، وبقي ارحم الراحمين » . فيقتضي سياق الكلام ان يكون « ارحم الراحمين » يشفع ايضًا . فلا بد ممن يشفع عنده ، وما ثَمّ الا الله . فاعلم ان الله يشفع من حيث اسمائه . فيشفع اسمه « ارحم الراحمين » عند اسمه « القهار » و « الشديد العقاب » ، ليرفع عقوبته عن هؤلاء الطوائف ، فيخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط .

وقد نبّه الله تعالى على هذا المقام فقال تعالى : « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدًا » . فالمتقي انما هو جليس الاسم الالهي ، الذي يقع منه الخوف في قلوب العباد . فسمي جليسه متقيًا منه فيحذره الله من هذا الاسم الى الاسم الالهي الذي يعطيه الامان مما كان خائفًا منه وهو « الرحمن » . فقال : « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدًا » اي يأمنون مما كانوا يخافون منه . ولهذا يقول في الشفاعة : « وبقي ارحم الراحمين » .

فبهذه النسبة تنسب الشفاعة الى الحق من الحق ، من حيث آثار أسمائه . وهذا هو مأخذ العارفين من الاولياء . فلا يجمع المحامد يوم القيامة كلها إلا محمد ، صلى الله عليه وسلم . فهذا الذي عبّر عنه بالمقام المحمود .

قال ، صلى الله عليه وسلم ، في هذا المقام : « فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن » . وهذا يدلك ان علوم الانبياء والاولياء اذواق لا عن فكر ونظر . فان الموطن يقتضي هنالك بآثاره اسماء الاهية يحمد الله بها ما يقتضيه موطن الدنيا . فلهذا قال : « لا اعلمها الآن » .

وهذا المقام هو الوسيلة . لان منه يتوصل الى الله فيما نوجه فيه من فتح باب الشفاعة . وهو شفاعته في الجميع . ألا تراه ، صلى الله عليه وسلم ، يقول في الوسيلة : « إنها درجة في الجنة ، لا ينبغي ان تكون إلا لرجل واحد ، وارجو ان اكون أنا . فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة . » فجعل الشفاعة ثواب السائل . ولهذا سمي المقام المحمود الوسيلة . وكان ثوابه في هذا السؤال ان يشفع . – وهذا هو منصب الاهي جامع من عين ملك الملك . – قال تعالى : « ألا الى الله تصير الامور » . وقال : « واليه يرجع الامر كله » . فكان المرجع اليه . فكذلك ترجع المقالات كلها والاسماء الى هذا المقام المحمود . – قال ، صلى الله عليه وسلم : « اوتيت جوامع الكلم » .

(فتوحات : ٣ : ٨٦–٨٧)

١١٤) « الجواب : بتأنيه واستقامة نظره : فَخُيِّرَ ، فاختار الظهور في اليوم الذي يكون لله فيه الظهور ، الذي لا يمكن معه لاحد دعوى ؛ – وتربيته تخلقًا الاهيًا . وعلى هذا المجرى اجرى الله خصايص عباده » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٨) .

(السؤال الخامس والسبعون) : وكم بين حظ محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وحظوظ سائر الانبياء ، عليهم السلام [١١٥] ؟

« الجواب : قال ، صلى الله عليه وسلم : لكل نبي دعوة مستجابة . فاستعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لاهل الكبائر من أمتي ». لعلمه (الصواب : فلعلمه) بمواطن الآخرة أكثر من علم غيره من الانبياء .

فاعلم انه لما كان المقام المحمود اليه ترجع المقامات كلها ، وهو الجامع لها — لم يصح ان يكون صاحبه إلا « من أوتي جوامع الكلم » . لان المحامد من صفة الكلام . ولما كان بعثه عاماً كانت شريعته جامعة جميع الشرائع . فشريعته تتضمن جميع الاعمال كلها التي تصح ان تشرع .

واعلم ان جنّات الاعمال ما بين الثمانين الى السبعين ، لا تزيد ولا تنقص . « والايمان بضع وسبعون باباً ، ادني ذلك إماطة الاذى عن الطريق ، وارفعه قول لا اله الا الله » . — قال تعالى ، في حق العاملين : « نتبوأ من الجنة حيث نشاء . فنعم اجر العاملين » . فلم يحجر جذا لمن عمل بكل عمل . فان الانسان في الدنيا ، أيّ عمل عمله من الاعمال — أعمال الايمان — لا يحجر عليه اذا شاء عمله . فلما ظهر ، صلى الله عليه وسلم ، بجميع شعب الايمان كلها ، التي هي بعدد الجنات العلية ، إما بالفعل وإما بالدلالة عليها فانه الذي سنّها لأمته ، فله أجر من عمل بها ، ولا يخلو واحد من الامة ان يعمل بواحدة منها — فهي في ميزانه صلى الله عليه وسلم ، من حيث العمل بها : فيتبوأ من الجنة حيث يشاء . وهذا لا يصلح الا لمحمد صلى الله عليه وسلم . فانه عنه ظهرت السنن الالهية . فبهذا نال المقام المحمود ، وبجوامع الكلم ، وبالبعثة العامة . فانه بالعناية الأخروية صحت له هذه المقامات في الدنيا ، وباتصافه بهذه الاحوال في الدنيا نال تلك المقامات الآخروية . فهذا دور بديع ، يختلف الوجوه حتى صح الوجود عنه ». (فتوحات : ٣ : ٨٧)

١١٥) « الجواب : ما بين السيد والمسود » (الجواب المستفيد ، ورقة ٢٦٨) .

« الجواب : أما بينه وبين الجسوع ، فحظ واحد وهو عين الجنسية لا تفرّق فيهم . وأما بينه وبين كل واحد منهم ، فثانية وسبعون حظاً ومقاماً ، الا آدم فإنه ما بينه وبين رسول الله ، صلى الله وسلم عليها ، إلا ما بين الظاهر والباطن . فكان في الدنيا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، باطن آدم ، عليه السلام ؛ وآدم ، عليه السلام ، ظاهر محمد ، صلى الله عليه وسلم . ولما كان الظاهر والباطن وهو في الآخرة ، آدم ، عليه السلام ، باطن محمد ، صلى الله عليه وسلم ؛ ومحمد ، صلى الله عليه وسلم ؛ ظاهر آدم . وجها يكون الظاهر والباطن في الآخرة .

ك — ك : ٧ . ل — ل : ٧ .

(السؤال السادس والسبعون) : وما لواء الحمد[١١٦] ؟

فهذا بين حظ محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبين حظوظ الانبياء ، عليهم السلام ! وأكثر اصحابنا يقصرون معرفة التوقيت في ذلك ؛ وهو غلط منهم . وفي هذا الفصل تفصيل عظيم ، تبلغ فصول التفصيل فيه الى مائة الف تفصيل واربعة وعشرين الف تفصيل ، بعدد الأنبياء ، عليهم السلام ! لأنه يحتاج الى تعيين كل نبيّ ومعرفة ما بين حظّ محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبين ذلك النبيّ .

والحظوظ محصورة ، من حيث الأعمال ، في تسعة وسبعين . وقد يكون للنبيّ من ذلك أمر واحد ، ولآخر أمران ، ولآخر عشر العدد وتسعه وثمنه وأقل من ذلك وأكثر . والمجموع لا يكون الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ولهذا لم يبعث بعثاً عاماً سوى محمد ، صلى الله عليه وسلم . وما سواه فبعث خاص . — « لكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجاً . ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة . »

(فتوحات : ٢ : ٨٧–٨٨) .

١١٦) « الجواب : ان اراد الحكيم بالسؤال عن لواء الحمد ، من باب المراتب ، — فهو حمد الحق . وان اراد به اللواء الذي يكون بيد النبي ، عليه السلام (في الاصل : عليم) يوم القيامة — فهو لواء فيه جميع الالوان كلها ، وجميع ضروب الانوار كلها . ويمتد ظله على كل مؤمن . وتهب عليه ريح ، يقال لها : المنفسة ، تحرّكه ، فيجيء منه نفس لطيف ، يكشف عن المؤمنين الكرب الذي يجدونه . وبذلك النفس ترجح موازين السعداء من المؤمنين . فتحرك اغصانا تلك الريح . فتنثر عليهم المسك ، ويسمع لها نغمات ، يذوبون تحتها وجداً لله تعالى . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٨ أ — ٢٦٨ ب) .

« الجواب : لواء الحمد هو حمد الحمد ؛ وهو أتم المحامد واسناها وأعلاها مرتبة . لما كان اللواء يجتمع اليه الناس ، لانه علامة على رتبة الملك ووجود الملك ، كذلك حمد المحامد تجتمع اليه المحامد كلها . فانه الحمد الصحيح ، الذي لا يدخله احتمال ولا يدخل فيه شك ولا ريب أنه حمد ؛ لانه لذاته يدل (على ذلك) ، فهو لواء نفسه . — ألا ترى لو قلت في شخص : إنه كريم ، او يقول عن نفسه ذلك الشخص : إنه كريم ، يمكن ان يصدق هذا الثناء ويمكن ان لا يصدق . فاذا وجد العطاء من ذلك الشخص بطريق الامتنان والاحسان ، شهد العطاء بذاته بكرم المعطي : فلا يدخل في ذلك احتمال . فهذا معنى حمد الحمد . فهو المعبر عنه بلواء الحمد . وسمّي لواء لانه يلتوي على جميع المحامد ، فلا يخرج عنه حمد : لأن به يقع الحمد من كل حامد ، وهو عاقبة العاقبة . فافهم ! ولما كان يجمع ألوان المحامد كلها ، لهذا عمّ كلّه جميع الحامدين .

(السؤال السابع والسبعون) : وبأيّ شيء يثني على ربه ، عز وجل ! حتى يستوجب لواء الحمد (١١٧ ؟

قال ، صلى الله عليه وسلم : « آدم فمن دونه تحت لوائي » . وإنما قال : « فمن دونه » لان الحمد لا يكون الا بالأسماء ، وآدم عالم بجميع الاسماء كلها ، فلم يبق إلا ان يكون من هناك تحته ودونه في الرتبة ، لانه لا بد أن يكون مثنيًا باسم ما ، من تلك الاسماء . (الاصل : + لما كانت) والدولة في الآخرة لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، المؤتي جوامع الكلم ، وهو الاصل . فانه ، صلى الله عليه وسلم ، اعلم بمامه ، فقال ، « وآدم بين الماء والطين » ، لم يكن بعد . فكان آدم لما علمه الله الاسماء في المقام الثاني من مقام محمد ، صلى الله عليه وسلم . فكان قد تقدم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، علمه بجوامع الكلم ، والاسماء كلها من الكلم. ولم تكن ، في الظاهر ، لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، عين فتظهر بالاسماء لانه صاحبها . فظهر ذلك في اول موجود من البشر ، وهو آدم . فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد ، صلى الله عليه وسلم . لانه تقدم عليه بوجود الطينة . فمتى ظهر محمد ، صلى الله عليه وسلم كان احق بولايته ولوائه . فيأخذ اللواء من آدم بزمام النيابة بحكم الاصالة . « فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه » . وقد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمان آدم . فهم في الآخرة تحته (= محمد ، عليه السلام) . فتظهر في هذه المرتبة خلافة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على الجميع . »

(فتوحات : ٣ : ٨٨)

(١١٧) « الجواب : بالنيابة عن حمد الحمد ، الذي يوافي هو نفسه . وهو الحمد الخاص من جميع الوجوه ، الكامل . وقلّ من رأيتُ ينبّه على هذا الحمد ، الا اشارةً من ابي الحكم بن برّجان في كتاب « ايضاح الحكمة » . ورأيته قد اشار الى ما ذكرناه . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٨ ب) .

« الجواب : بالقرآن ، وهو الجامع للمحامد كلها . ولهذا سمّي قرآنًا ، اي جامعًا . وهو قوله : « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين » . وما انزلت على احد قبله ، ولا ينبغي ان تنزل إلا على من له هذا المقام . فانه سبحانه لا ينبغي ان يحمد إلا بما يشرع ان يحمد به من حيث ما شرعه ، لا من حيث ما تعطيه الصفة الحمدية من الكمال . فذلك هو الثناء الالهي . ولو حمد بما تعطيه الصفة ، لكان حمدًا عرفيًا عقليًا . ولا ينبغي مثل هذا الحمد لجلاله . »

(فتوحات : ٣ : ٨٨)

م ولأي ٧ .

(السؤال الثامن والسبعون) : وماذا يقدّم إلى ربه من العبودية[118] ؟

(السؤال التاسع والسبعون) : وبأي شيء يختمه حتى يناوله مفاتيح الكرم[119] ؟

---

١١٨) « الجواب : بحسب الاسم الذي يدعوه منه ، سبحانه ! فيقدم اليه من العبودية الدلة . وان اثنى عليه بالغنى ، قدم اليه من العبودية الفقر . فليس يتقيد بوصف مخصوص ، بل هو على ما ذكرنا . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٨ب) .

« الجواب : العبودة . وهو انتساب العبد إليه . ثم بعد ذلك تكون العبودية وهو انتسابه الى المظهر الالهي . فبالعبودة يمتثل الامر دون مخالفة . وهو اذا يقول له : « كن فيكون » ، من غير تردد . فانه ما ثمّ إلا العين الثابتة القابلة بذاتها للتكوين . فاذا حصلت مظهرًا وقبل لها : افعل او لا تفعل — فإن خالفت فمن كونها مظهرًا ، وان امتثلت ولم تتوقف فمن حيث عينها . — « انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له : كن ، فيكون » .

فبهذه العبودية يتقدم الى الله في ذلك اليوم . الا تراه يسجد من غير ان يؤمر بالسجود؟ لكن السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالتكوين . ولم يكن له محل الا عين محمد ، صلى الله عليه وسلم . فتكوّن السجود في ذاته لامر الحق له بتكوينه . فسجد به محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من غير امر الاهي . وورد عليه بالسجود ، فيقال له : « ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفع ! »

ثم بعد ذلك ، في موطن آخر يؤمر الملك بالسجود ليتميز المخلص من غير المخلص . فذلك سجود العبودية . — فالعارفون بالله ، في هذه الدار ، يعبدون ربهم من حيث العبودة . فما هم نسبة إلا إليه ، سبحانه . ومن سواهم فانهم ينسبون الى العبودية . فيقال : قد قاموا بين يديه في مقام العبودية . — فهذا الذي يقدّمه من العبودية الى ربه . وكل محقق بهذه المثابة ، يوم القيامة . »

(فتوحات ٢ : ٨٨)

١١٩) « الجواب : يختمه برد ما قدّم الله اليه : « الى ربك منتهاها » — وهنا اسرار يجب كتمها — وبذلك يستوجب مفاتيح الكرم . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٨ب) .

« الجواب : يختمه بالعبودية وهو انتسابه الى العبودة ، كما قررنا . وهي الدرجة

ت تقدم V .

ه العبودة V ، + حتى يثني عليه رب العزة ويشهد له بقدم الصدق VF .

ز يثني V .

(السؤال الثامن) : وما مفاتيح الكرم[١٢٠] ؟ .

الثانية . فان هذا المقام ما هو سوى درجتين : درجة العبودة ، وهي العظمى ، المقدمة ودرجة العبودية ، وهي الختام . لانه ما امر بما يقتضيه امر العبودة الا بعد وجوده . فأمر وهي بوساطة هذا التركيب . فأطاع وعصى وأناب وآمن وكفر ووحد وأشرك وصدق وكذب . ولما وفى حق الدرجة الثانية بما تستحقه العبودية من امتثال أوامر سيده ونواهيه – ناوله مفاتح الكرم بردّ ما قدّم اليه .»

(فتوحات : ٣ : ٨٩)

١٢٠) « الجواب : سؤالات السائلين بحكم الافتقار . وهي دون مفاتيح الجود ؛ ودون مفاتيح السخاء ؛ ودون ذلك مفاتيح الايثار . وما ثمّ مفاتيح للعطاء اكثر من هذه الاربعة ، لا غير .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٨ ب – ٣٦٩ ا) .

« الجواب : سؤالات السائلين منا ومنه وبنا وبه . فأما « منّا » و « بنا » ، فسؤال ذاتيّ لا يمكن الانفكاك عنه . وصورة مفتاح الكرم في مثل هذا وقوفك على علمه بأنه جذه المثابة . وغيرك ، ممن هو مثلك ، يجهله ولا يعرفه . فتكرّم عليك ، بأن عرّفك كيف انت وما تستحقه ذاتك ان تزفي به بما لا يمكن انفكاكها عنه .

وأمّا « منه » و « به » ، فان سؤال السائل بما هو عارض له ؛ أي عرض له ذلك بعد تكوينه . وذلك انه لما كان مظهرًا للحق ، وكان الحق منه هو الظاهر – فسأل من جعله مظهرًا بلسان الظاهر فيه . فهذا سؤال عارض ، عرض له بعد ان لم يكن . فعبّر عن مثل هذا السؤال بمفتاح الكرم . أي من كرم الله تعالى ان سأل نفسه بنفسه وأضاف ذلك الى عبده . فهو بمثابة ما هو الامر عليه بأنه يخلق في عباده طاعته ويثني عليهم بأنهم أطاعوا الله ورسوله . وما بأيديهم من الطاعة شيء غير انهم محل لها .

سأل ابليس الاجتماع بمحمد ، صلى الله عليه وسلم . فقال له : يا محمد ، ان الله خلقك للهداية ، وما بيدك من الهداية شيء . وخلقني للغواية وما بيدي من الغواية شيء . فصدقه ، فصدّقه . – قال تعالى : « إنك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ». وقال : « فألهمها فجورها وتقواها ». وقال : « كل من عند الله » . وقال : « وما من دابة إلا وهو آخذ بناصيتها » . ثم اثنى ، مع هذا ، عليهم فقال : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » . – يا ليت شعري ! ومن خلق التوبة فيهم والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله ، إلا الله ؟ فمن كرمه أنه أثنى عليهم بخلق هذه

ج و ٧ .

(السؤال الحادي والثمانون) : وعلى مَنْ توزع عطايا ربنا[١٢١] ؟

الصفات والافعال فيهم ومنهم ثم أتى عليهم بان اضاف ذلك كله اليهم ، إذ كانوا محلا لهذه الصفات المحمودة شرعاً . أليس هذا كله مفاتيح الكرم ؟ فانه يفتح بها من العطايا الإلهية « ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

قال تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » . يا ليت شعري ! ومن أقامهم من المضاجع ، حين نوّم غيرهم إلا هو ؟ « يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » يا ليت شعري ! ومن انطق ألسنتهم بالدعاء ؟ ومن خوّفهم وطمّعهم إلا هو ؟ أترى ذلك من نفوسهم ؟ لا ، والله ! إلا من مفاتيح كرمه ، فتح بها عليهم . — « ومما رزقناهم ينفقون » . فبدأ رزقهم التجافي عن المضاجع وعن دار الغرور . ومما رزقهم الدعاء والابتهال . ومما رزقهم الخوف منه والطمع فيه . فانفقوا ذلك كله عليه . فقبله منهم . « فلا تعلم نفس » عامة « ما اخفي لهم » اي لهؤلاء الذين هم بعده المثابة « من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

فكانت هذه الاعمال عين مفاتيح الكرم لمشاهدة « ما اخفي لهم » فيهم وفي هذه الاعمال « من قرّة أعين » . فكلها هو في خزائن الكرم فان مفاتيحه تتضمنه ، فهو فيها بجمل وهو في الخزائن مفصل . فاذا فتح بالاعمال تجلّت الرتب وعرفت النسب وجاءت كل حقيقة تطلب حقها ، وكل علم يطلب معلومه . »

(فتوحات : ٣ ٨٩)

١٢١) « الجواب : على الصالحين والموالي والراسخين في العلم والمتوكلين . وعلى من حسنت سيرته (في الاصل : حسن السيرة) من الولاة ، فيمن ولي عليهم خاصة . على هؤلاء توزع . وتوزع (في الاصل : يوزع) على جميع الناس ، من مراتب أخر . وهذه عطايا مخصوصة تقتضيها (الاصل : يقتضيها) احوال مخصوصة » . الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ا) .

« الجواب : على من (هو) حسن السيرة من الولاة . وكل شخص والٍ بالولاية العامة ، وهي تولية القلب على القوى المتوية والحسية في نفسه . والولاية كل من له ولاية خارجة عن نفسه من اهل وولد ومملوك وملك . فتوزع العطايا على قدر الولاية وقدر ما عاملهم به من حسن السيرة فيهم .

فان كان الوالي من العلماء بالله ، الذين يكون الحق سمعهم وبصرهم ، فليس له حظ في هذه العطايا . فانها عطايا غني لفقراء . وانما يعطي من هذه صفته عطاء غنيّ لغنيّ ، ظاهر في مظهر فقير لما أعطى عن فقر ذاتيّ . فأخذ هذا المعطى له من الاسم « الله » لا من من الاسم « الرب » . فما اعظم الغلة على قلوب العباد ! هيهات ! متى يبلغ (الاصل : لتبلغ) البشر

(السؤال الثاني والثمانون) : وكم اجزاء النبوة [١٢٢] ؟

درجة من « لا يوصف بالغفلة » ، وهم الملأ الاعلى ، « الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون » في غير ليل ولا نهار « يسبحون له بالليل والنهار » وهم لا يسأمون . — وكفى بالبشرية نقصا !

واعلم أن العطايا تختلف باختلاف المستحقين . فمنهم من يكون عطاؤه هو ، ومنهم من يكون عطاؤه معرفته بنفسه ، ومنهم من يكون عطاؤه ما هو منه . فان كان المستحق يقول بالاستحقاق الذاتي ، فلا يلزمه الا شكر ايجاد العين ، حيث كان مظهرًا له ، جل وتعالى ! وان كان يقول بالاستحقاق المرضي ، وهو يرى انه ، تعالى ، جعل له استحقاقًا — فهذا يتضاعف عليه الشكر ، فانه دون الاول في المرتبة . وان كان المستحق يرى الاستحقاق لتظاهر في مظهر ما ، من حيث ما هو ظاهر لذلك المظهر ، ولا يرى ان عينه تستحق شيئًا — فهذا لا يجب عليه شكر ، إلا ان أوجبه على نفسه : كايجاب الحق على نفسه في مثل قوله : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » .

فتتوزع العطايا على مقادير من توزع عليهم : في العلم والعمل والحال والزمان والمكان والقصد وملازمة العمل ومنبته . — « قد علم كل الناس مشربهم » . — قال فرعون لموسى وهرون : « فمن ربكما ، يا موسى ؟ قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه » وهو الذي يستحقه . فالرب هو القاسم العطايا . »

(فتوحات : ٢ : ٨٩-٩٠)

١٢٢) « الجواب : مائة جزء وسبعة عشر جزءًا (في الاصل : جزءاً) . » (الجواب المستقيم : ورقة ٢٤٩) .

« الجواب : اجزاء النبوة على قدر آي الكتب المنزلة والصحف والاخبار الالهية ، من العدد الموضوع في العالم من آدم الى آخر نبي يموت ، مما وصل الينا ومما لم يصل ، على ان القرآن يجمع ذلك كله . فان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقول ، فيما حفظ القرآن : « ان النبوة ادوجت بين جنبيه » . فهي وان كانت مجموعة في القرآن ، فهي مفصلة معينة في آي الكتب المنزلة ، مقررة في الصحف ، متميزة في الاخبار الالهية ، الخارجة عن قبيل الصحف والكتب .

ويجمع النبوة كلها « ام الكتاب » . ومفتاحها « بسم الله الرحمن الرحيم » . فالنبوة سارية الى يوم القيامة في الخلق . وان كان التشريع قد انقطع ، فالتشريع جزء من اجزاء النبوة . فانه يستحيل ان ينقطع خبر الله واخباره من العالم ، اذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده . — « قل : لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل

(السؤال الثالث والثمانون) : وما[٣١] النبوة[٣١] (١٢٣) ؟

ان تنفد كلمات ربي ، ولو جئنا بمثله مددًا » . — « ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » . — وقد أخبر الله انه ما من شيء يريد ايجاده الا يقول له : « كن » . — فهذه كلمات الله لا تنقطع ؛ وهي الغذاء العام لجميع الموجودات . فهذا جزء واحد من اجزاء النبوة لا ينفد ، فأين أنت من باقي الاجزاء التي لها ؟ » . (فتوحات: ٢: ٩٠)

(١٢٣) « الجواب : الحال الذي يتحقق به النبي ، عند حصوله في الثاني عشر من المقامات . » (الجواب المستقيم ، ورقه ٢٦٩ أ) .

« الجواب : النبوة منزلة بينها « رفيع الدرجات ذو العرش » . فيتحلى العبد باخلاق صالحة واعمال مشكورة حسنة في العامة ؛ تعرفها القلوب ولا تنكرها النفوس ؛ وتدل عليها العقول ؛ وتوافق الاغراض وتزيل الامراض . فاذا وصلوا إلى هذه المنزلة ، فتلك منزلة الإنباء الالهي المطلق لكل من حصل في تلك المنزلة من « رفيع الدرجات ذي العرش » .

فإن نظر الحق من هذا الواصل الى تلك المنزلة نظر استنابة وخلافة ألقى الروح بالانباء من أمره على قلب ذلك الخليفة المتحلي به : فتلك نبوة التشريع . قال تعالى : « وكذلك اوحينا اليك روحًا من امرنا » . وقال : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » — فهي عامة ، لان « من » نكرة — « أن انذروا انه لا اله الا انا فاتقون » . — نبوة خاصة ، نبوة تشريع : « يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده » . مثل ذلك : « لينذر يوم التلاق يوم هم (الاصل : يومهم) بارزون » . — نبوة تشريع لا نبوة عموم . — « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين » . فالإنذار مقرون ابدًا بنبوة التشريع . ولهذه النبوة (الاصل : + هي) تلك الاجزاء التي سأل عنها (في السؤال السابق) والتي وردت في الاخبار .

واما النبوة العامة ، فأجزاؤها لا تنحصر ولا يضبطها عدد ، فانها غير مؤقتة لها الاستمرار دائمًا ، دنيا وآخرة . وهذه مسألة أغفلها أهل طريقنا ؛ فلا أدري عن قصد منهم كان ذلك ، أو لم يوفقهم الله عليها ، أو ذكروها وما وصل ذلك الذكر إلينا ؟ والله اعلم بما هو الامر عليه !

ولقد حدثني ابو اليمن التاشكي البغدادي ، رحمه الله ، عن الشيخ بشير ، من ساداتنا بباب الازج ، عن امام العصر ، عبد القادر انه قال : « معاشر الانبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوا » . فأما قوله : « أوتيتم اللقب » اي حجر علينا اطلاق لفظة النبي ، وان كانت النبوة

١ أ — ٢ أ : — ٧ .

(السؤال الرابع والثمانون) : وكم اجزاء الصديقية[١٣٦] ؟

الذمة سارية في أكابر الرجال . وأما قوله : « وأوتينا ما لم تؤتوا » (؟) هو معنى قول الخضر ، الذي شهد الله تعالى برسالته وتقدمه في العلم، وأدب الكليم المصطفى المقرّب ، موسى عليه السلام ، في طلبه، مع العالم بأن العالم يرون ان موسى افضل من الخضر – فقال له : « يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت . » فهذا عين معنى قوله : « أوتينا ما لم تؤتوا » . وان اراد ، رضي الله عنه ، بالانبياء هنا انبياء الاولياء ، اهل النبوة العامة ، فيكون قد صرّح بهذا القول ان الله قد اعطاه ما لم يعطهم : فان الله قد جعلهم فاضلا ومفضولا . فمثل هذا لا ينكر . »

(فتوحات : ٢ : ٩٠–٩١)

١٣٦) الجواب : « بضع وسبعون جزءا من النور الاحمر » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٩) .

« الجواب : بضع وسبعون جزء ، على عدد شعب الايمان الذي يجب على الصدّيق التصديق بها . وليست الصدّيقية الا للاتباع . والانبياء ، أصحاب الشرائع ، صدّيقون ؛ بخلاف انبياء الاولياء ، الذين كانوا في الفترات : وانما كان الانبياء ، اصحاب الشرائع ، صدّيقين – لان اهل هذا المقام لا يأخذون التشريع الا عن الروح الذي يتنزل بها على قلوبهم . وهو تنزيل خبري ، لا تنزيل عاميّ . فلا يتلقونه إلا بصفة الايمان ، ولا يكشفونه إلا بنوره . فهم صدّيقون للأرواح ، التي تتنزل عليهم بذلك .

وكذلك كل من يتلقّى عن الله ما يتلقاه ، من كون الحق في ذلك الإلقاء مخبرا ، فانما يتلقاه من جانب الايمان ونوره لا من التجلّي . فان التجلي ما يعطي الايمان بما يعطيه . وانما يعطي ذلك بنور العقل ، لا من حيث هو مؤمن .

فأجزاء الصدّيقية ، على ما ذكرناه ، لا تنحصر فانه ما يعلم ما يعطي الله في اخباراته لمن اخبرهم . فأجزاء الصدّيقية المحصورة هو ما وردت به الاخبار الالهية بأن اعتقاد ذلك الخبر قربة الى الله على التعيين . وهي متعلقة بالاسم الصادق ، لا بد من ذلك . فيتصوّر هنا من اصول طريق الله ، وانه ما ثمّ الا صادق ، فانه ما ثمّ مخبر إلا الله . فينبغي ان لا يكذب بشيء من الاخبار .

قلنا : الصدّيق من لا يكذب بشيء من الاخبار ، إذا تلقّى ذلك من الصادق . ولكن الصدّيق ، ان كان من العلم بالله بحيث انه يعلم انه ما ثمّ مخبر إلا الله – فيلزمه التصديق بكل خبر ، على حسب ما اخبر به المخبر . فاذا اخبر الصادق الحق بان قوماً كذبوا في امر أخبروا به – صدق الله في خبره انهم كذبوا في كل ما اخبر به انهم كذبوا فيه . وان

(السؤال الخامس والثمانون) : وما الصِدّيقية[١٣٥] ؟

الكذب هي صفة بالنسبة اليهم لا بالنسبة الى المخبر . فان المخبر اذا نسبته الى الصادق كان صدقاً ، واذا نسبته الى الكاذب فيه كان كذباً ، واذا نسبته الى الكاذب لا فيه كان محتملاً . والذي يرى ان المخبر هو الله الصادق ، فان ذلك المخبر ، في ذلك الحال ، هو صدق والمؤمن به صدّيق . ثم أخبر الصادق الحق ان ذلك المخبر ، الذي نسبته اليّ بانه صدق انسبه الى الذي ظهر على لسانه نسبة كذب . فاعتقد انه كذب . فيعتقد فيه انه بالنسبة الى ذلك الشخص ، لكونه محلاً لظهور عين هذا المخبر ، كذب لان مدلوله العدم لا الوجود . فالصدق امر وجودي والكذب امر عدمي .

وصورة الصدق في الكذب ان المخبر الكاذب ما اخبر إلا بأمر وجودي ، صحيح العين في تخيله . اذ لو لم يتخيّله ، لحصول المعنى عنده ، لما صح ان يخبر عنه بما أخبر . فهو صادق في خبره ذلك ؛ والمؤمن به صدّيق . ثم اخبر الحق عن ذلك المخبر انه بالنسبة الى الحس كذب ؛ وما تعرض الى الخيال . كما لم يتعرض المخبر في خبره ذلك الى الحس . وانما السامع ليس له في اول سماعه الاخبار إلا أول مرتبة ، وهي الحس . ثم بعد ذلك يرتقي في درجات القوى . فاعتقد بعد هذا ، باخبار الحق عنه ان ذلك كذب في الحس ، انه كذب في الحس . اي ليس في الحس منه صورة من حيث الحكم الظاهر . فهو صدّيق للخبر الحق . فما للوجود كذب ولا في العدم صدق فان الصدق اصله الصادق ، وهو الوجود المحض الذي لا نسبة للعدم اليه . والكذب هو العدم المحض ، الذي لا نسبة للوجود اليه . واما الكذب النسبي ، بالنظر الى الخيال يكون صادقاً وبالنظر الى الظاهر ، على شرط مخصوص ، يكون كذباً . فالصديق يتعلق به من حيث نسبته الى ما هو موجود به . والعامّة تتعلق به من حيث إنه لا وجود له في المرتبة ، التي يطلبها فيه من يكذبه . فاعلم ذلك !

فان شئت قلت ، بعد هذا : ان للصديقية اجزاء منحصرة . وان شئت قلت : لا تدخل تحت الحصر أجزاؤها . وان اردت بأجزاء الصديقية الصفة التي بها تحصل الصديقية للصدّيق – فهذا سؤال آخر يمكن ان يسأل عنه . فالجواب عن مثل هذا الوجه : ان من اجزائها سلامة العقل ، والفكر الصحيح ، والخيال الصحيح ، والايمان بصدق المخبر ، وإن أحاله العقل ، الذي ليس بسليم عند اهل هذه الصفة . والقول باستحالات الامكان في الاعيان الممكنات بالنظر الى ما تقتضيه ذات الواجب الوجود لذاته أو الى سبق العلم منه عند من يقول بذلك . فاذا كان جذه المثابة ، حصلت له الصدّيقية . ويكون هذا المجموع اجزاءها . لانها ليست بزائدة على عين المجموع . – وهذا هو النور الاخضر . »

(فتوحات : ٢ : ٩١)

١٣٥) « الجواب : مشاهدة علم المخبر ، من خلف حجاب الغيب ، بنور الكرم : يعني

قلب المؤمن » (بالجواب المستقيم ، ورقة ٩٤) .

« الجواب : نور أخضر بين نورين ، يحصل بذلك النور شهود عين ما جاء به المخبر من خلف حجاب الغيب بنور الكرم .

وذلك ان اسم « المؤمن » الذي تسمى الله لنا به في كتابه ، من حيث هو نور ، اعني الكتاب — فقال ، عزّ من قائل : « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدّوس السلام المؤمن » . إلا ان المؤمن هنا له وجهان : معطي الامان ، ومصدق الصادقين من عباده عند من لم يثبت صدقهم عنده . ولهذا قال تعالى ، حكاية عمّا يقوله الصادق يوم القيامة لربه : « قال : رب ! احكم بالحق » ليثبت صدقي عند من أرسلتني اليهم فيما أرسلتني به . فجاء بلفظ يدل على انه وقع . وهو عند العامّة ما وقع ، فانه يوم القيامة . وما اخبر الله إلا بالواقع .

فلا بد ان يكون ثمّ حضرةٌ إلاهيـة ، فيها وقوع الاشياء دائمًا ؛ لا تتقيّد بالماضي — فيقال : قد وقعت — ، ولا بالمستقبل — فيقال : تقع — ، ولكن متعلقها الحال الدائم . وبين القلوب وبين هذه الحضرة حجاب التقييد . فاذا كوشف العبد على خلوصه من التقييد ، وظهر بصورة حق في حضرة مطلقة (الاصل : مطلقه) — شهد ما يقال فيه يقع واقعًا ؛ وشهد ما يقال فيه واقعًا ؛ وشهد ما يقال فيه واقعا لم (الاصل : فلم) يزل واقعًا ولا يزال واقعًا . فمنه تقع المحكايات الالهية بانه يقع ، مثل قوله تعالى : « يوم تأتي كل نفس » فعلق بالمستقبل ؛ وقوله عز وجل : « أتى امر الله » فأتى بالماضي . وكلا التقييدين يدل على العدم .

والحال له الوجود والعدم . لا يقع فيه شهود ولا تمييز . فلا بد أن يكون المخبر عنه بأنه كان كذا أو يكون كذا — له حالة وجودية في حضرة إلاهية ، عنها تقع الاخبارات . والواقف فيها يسمّى صدّيقًا ؛ وهي بنفسها الصدّيقية . ولما اطلاع من خلف حجاب هذا الهيكل المظلم في حق شخص ، والهيكل المنوّر في حق شخص ، فان وجدت عينًا مفتوحة سليمة من الصدع ، أبصرت هذه العين ، بهذا النور من هذه الحضرة ، صدق المخبرين ، كانوا من كانوا . فيسمّون صديقين بذلك . وتسمى هذه الحالة صدّيقية .

وللملأ الأعلى منها شرب ، وللرسل فيها شرب ، وللأنبياء فيها شرب ، وللأولياء فيها شرب ، وللمؤمنين فيها شرب ، ولغير المؤمنين ، من جميع اهل النحل والملل ، شرب . فيسعد بها قوم ، ويشقى بها قوم لشروط تتعلق بها ولوازم . بها يقال : مؤمن وكافر ومشرك وموحّد ومعطّل ومثبت ومنزّه وجاحد وصادق وكاذب .

فقد عمّت الصدّيقية جميع الهياكل : المنوّرة والمظلمة والنورية والنارية والطينية والشعرية (الاصل : الشعرية) . ولا يشعر بها إلا الأكابر من الرجال ؛ وهم العارفون بسرياتها في الموجودات . فاذا نظرت أرباب هذه الهياكل أنفسها مجرّدة عن هياكلها — خرجت عن حضرة الصدّيقية وكانت من اهل المعاينة . فصارت ترى من بعد ما كانت كأنها ترى .

(السؤال السادس والثمانون) : وعلى كم سهم ثبتت العبودية[ب٢] (١٣٦) ؟

فالحق سبحانه ، من كونه مؤمناً ، له حضرة الصدّيقية . فيها يصدق الحق عباده المؤمنين بقوله : « وقضى ربك ألّا تعبدوا إلا إيّاه » . فصدّقهم في كونهم ما عبدوا سواه في الهياكل المسماة « شركاء » . قال تعالى : « قل : سمّوهم » . وقال : « ان هي إلا أسماء سميتموها ! » . — وبهذا يصدق العباد في الاخبار كلها من غير توقف . فلها حكم في الطرفين . فان في هذا الذي قلناه « آية لقوم يعقلون » . ما فيه « آية لقوم يتفكّرون » ولا « لقوم يعلمون » إلا بـ « يعلمون » « يعقلون » .

فالصديقية مستمدها من الاسماء الالهية (الاسم) « المؤمن » . وكذلك أثرها في المخلوقات الايمان . وكذلك اسماؤهم المؤمنون الصديقون . لهم النور لصدقهم . اذ لولا النور لما عاينوا صدق المخبر وصدق المخبر من حاب حجاب هذا الهيكل . — « فطوبى لهم » ثم « طوبى وحسن مآب ! . »

(فتوحات : ٢ : ٩٢)

(١٣٦) « الجواب : على أربعة أسهم » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩) .

« الجواب : على تسعة وتسعين سهماً ، على عدد الاسماء الالهية « التي من أحصاها دخل الجنة » . لكل اسم الاهي عبودية تخصه ، بها يتميّز له من يتميّز من المخلوقين . ولهذا لا يعلم هذه الاسماء الالهية إلّا وليّ ، ثابت الولاية . فان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما ثبت عندنا أنه عينها . وقد يحصيها بعض الناس ولا يعلم انها هي التي ورد فيها النص . كما يكون وليّاً ولا يعلم انه وليّ . ومن رجال الله من عرّفهم الله بها من أجل ما يطلبه كل اسم منها من عبودية هذا العبد . فيعين له هذا الوليّ العارف من العبودية بحسب الاسم ، الذي له الحكم عليه في وقته .

« فمن أحصى هذه الاسماء » الالهية ، دخل الجنة المعنوية والحسّيّة . فأمّا المعنوية فبما تطلبه (الاصل : فبماذا تطلبه) هذه الاسماء من العلم بالعبودية ، التي تليق بها . وأما الحسّيّة فبما تطلبه (الأصل : فبماذا تطلبه) هذه الأسماء من الاعمال التي تطلبه من العباد . فلا بد من تمييزها ، وكيف يعرف اسم العبودية من لا يعلم من الله ما يطلبه منه ؟ فبهذا النظر يكون للعبودية سهام ويكون عددها ما ذكرناه .

والعاملون بهذه العبودية رجلان . رجل يعمل بها من حيث شرعه ؛ ومن عمل بها من حيث شرعه فقد عمل بها من حيث عقله . ورجل عمل بها من حيث عقله ؛ ومن عمل بها من

ب٢ العبودة ؟ .

حيث عقله قد لا يعمل بها من حيث شرعه . فالعامل بها من حيث عقله ينسبها الى هياكل منوّرة او عقول مجردة عن المواد ، لا بد من ذلك . والعامل بها من حيث شرعه ، ينسبها الى الله سبحانه ، وينسبها ، من حيث آثارها وما تنظر اليه لوضع الوسائط بينك وبينها ، الى الهياكل النورية والعقول المجردة عن المواد . وأما العامة فلا يعرفونها إلا لله خاصة او للاسباب الغريبة المعتادة المحسوسة خاصة ؛ لا يعلمون غير هذا .

وما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين انه وقف مع ربه على قدم العبودية المحضة . فالملأ الأعلى يقول : « أتجعل فيها من يفسد فيها » . والمصطفون من البشر يقولون : « ربنا ، اننا ظلمنا انفسنا » . ويقولون : « رب ! لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً » . ويقولون : « ان تلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض من بعد اليوم » . وهذا كله لغلبة الغيرة عليهم والاستعجال (الأصل : واستعجال) ، لكون الانسان « خلق عجولا » فهي حركة طبيعية أظهرت حكمها في الوقت ، فنفحت عن صاحبها من العبودة بقدر استصحاب مثل هذا الحكم لصاحبها .

وكل ما كان يقدح في مقام ما ويرمي به ذلك المقام ، فان صاحب ذلك المقام لم يتصف في تلك الحال بالكمال الذي يستحقه ، وان كان من الكمّل . فنور العبودية على السواء من نور الربوبية ، فانه من أثره . وعلى قدر ما يقدح في العبودية يقدح في الربوبية ؛ وان كان مثل هذا القدح لا يقدح ولا يؤثر في السعادة الطبيعية . ولكن يؤثر في السعادة العلمية . وأعم الدرجات في ذلك درجتان : درجة المجلة التي خلق الانسان عليها ودرجة النقلة التي جبل الانسان عليها .

ولولا ان الملأ الأعلى له جزء في الطينة ومدخل ، من حيث هيكله النوري ، ما وصفهم الحق بالخصام في قوله : « ما كان لي من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون » . ولا يختص الملأ الأعلى إلا من حيث المظهر الطبيعي ، الذي يظهر فيه كظهور جبريل في صورة « دحية » . وكذلك ظهورهم في الهياكل النورية المادية ، وهي هذه الانوار التي تدركها الحواس ، فانها لا تدركها إلا في مواد طبيعية عنصرية . وأما اذا تجردت عن هذه الهياكل ، فلا خصام ولا نزاع اذ لا تركيب . ومهما قلت : اثنان ، كان وقوع الخصام : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

فالوحدة من جميع الوجوه هو الكمال الذي لا يقبل النقص ولا الزيادة . فانظر من حيث هي لا من حيث الموحد بها . فان كانت عين الموحد بها فهي نفسها ، وان لم تكن عين الموحد بها فهو تركيب . فما هو مقصودنا ولا مطلب الرجال ، ولهذا اختلفت احكام الاسماء الالهية من حيث هي اسماء : فأين المنتقم والشديد العقاب والقاهر ، من الرحيم والغافر واللطيف ؟ فالمنتقم يطلب وقوع الانتقام من المنتقم منه ؛ والرحيم يطلب رفع الانتقام عنه .

(السؤال السابع والثمانون) : وما يقتضي[ت٢] الحق من الموحدين[١٢٧] ؟

وكلٌّ ينظر في الشيء بحسب حكم حقيقته ؛ فلا بد من المنازعة لظهور السلطان .

فمن نظر الى الأسماء الالهية قال بالتراع الالهي . ولهذا قال تعالى لنبيه : « وجادلهم بالتي هي احسن » . فأمره بالجدال الذي تطلبه الاسماء الالهية ، وهو قوله : « التي هي احسن » . — كما ورد في الاحسان : « ان تعبد الله كأنك تراه » — فاذا جادل بالاحسان ، جادل كأنه يرى ربه ، ولا يرى ربه مجادلاً إلا من حيث ما تطلبه الاسماء الالهية من التضاد . فاعلم ذلك !

وما منعني من تحصيل هذا المقام إلا الغفلة لا غير . فليس بيني وبينه حجاب إلا الغفلة . وهو حجاب لا يرفع . واما حجاب الدعة ، فأرجو ، بحمد الله ، أنه قد ارتفع عني . واما حجاب الذلة ، فمن المحال رفعه دائماً مع وجود التركيب حيث كان : في المعاني أو في الاجسام . ولو ارتفع هذا الحجاب لبطل سر الربوبية في حق هذا الشخص . وهو الذي اشار اليه سهل بن عبدالله ، أو من كان بقوله : « ان للربوبية سراً لو ظهر لبطلت الربوبية » . لكنه ممكن الحصول بالنظر الى نفسه . ولكن لا ادري هل تقتضي الذات تحصيله وظهوره في الوجود أم لا ؟ غير أنه أعلم أنه ما وقع . ومع هذا فلا أقطع يأسي من تحصيله مع علمي باستحالة ذلك ! وينبغي للناصح نفسه ان يقارب هذا المقام جهد الاستطاعة .

وأما القائلون بالتنزيه بالحضرة الالهية جهد الطاقة ، وهو التخلّق بالاسماء ، انه عين المطلوب والكمال — فهو صحيح في باب السلوك لا في عين الحصول . وأما في عين الحصول فلا تنزيه ، بل هو عين الحق . والشيء لا يشبه نفسه . فأعلى المظاهر مظاهر الجمع : وهو عين التفريق ! »

(فتوحات : ٢ : ٩٢-٩٣)

١٢٧) « الجواب : ان لا مزاحمة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦ب) .

« الجواب : ان لا مزاحمة . وذلك ان الله لما تسمى بالظاهر والباطن ، نفى المزاحمة . اذ الظاهر لا يزاحم الباطن ، والباطن لا يزاحم الظاهر . وانما المزاحمة ان يكون ظاهران أو باطنان . فهو الظاهر من حيث المظاهر ؛ وهو الباطن من حيث الهوية . فالمظاهر متعددة من حيث أعيانها لا من حيث الظاهر فيها . فالأحدية من ظهورها ، والعدد من أعيانها .

فيقتضي الحق من الموحدين ، الذين وصفوا بصفة التوحيد ، ان يوحدوه من حيث هويته ؛ وان تعددت المظاهر فما تعدد الظاهر . فلا يرون شيئاً إلا كان هو المرئي والراني . ولا يطلبون شيئاً إلا كان هو الطالب والطلب والمطلوب . ولا يسمعون شيئاً الا كان هو السامع

ت٢ يصير ٧ .

والسمع والمسموع . فلا تزاحم ، فلا منازعة .

فان النزاع لا يحله الا التضاد ، وهو المائل والمخالف . و(المخالف) هو عين المائل هنا . اذ قد يكون الضدان ما ليس بمثلين . بخلاف المخالف ، فان حكم المخالف لا يقع منه مزاحمة ولا منازعة . ولهذا نفى الحق أن تضرب له الامثال ؛ لانها اضداد تنافي حقيقة ما ينبغي له . ولا ينافيه ما سمّي به حيث نفى التشبيه ، فقال (تعالى) : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » . خلق الله التفاحة تحمل اللون والطعم والرائحة ، ولا مزاحمة في الجوهر ، الذي لا ينقسم . ويستحيل وجود لونين او طعمين او ريحين في ذلك الجزء الذي لا ينقسم .

فلا يصح الاثنان لانهما مثلان . ويصح وجود جميع الاسماء للعين الواحدة ، لانها خلاف . والخلاف قابل للاجتماع ، بخلاف المائل . فاذا استحال الاجتماع فلحكم الضدية لا لحكم الخلاف ، اذ الاجتماع لا ينافض الخلاف . فكل اجتماع يطلب الخلاف ، وما كل خلاف يطلب الاجتماع .

وانما يقتضي الحق من الموحدين عدم المزاحمة ، ليبقى الرب ربّاً والعبد عبدا . فلا يزاحم الرب العبد في عبوديته ولا يزاحم العبد الرب في ربوبيته ، مع وجود عين الرب والعبد . فالموحد لا يتخلق بالاسماء الالهية .

فان قلت : فيلزم ان لا يقبل ما جاء من الحق من اتصافه بأوصاف المحدثات : من « مجيء ونزول واستواء وضحك » فهذه أوصاف العباد ، وقد قلتَ : ان لا مزاحمة : فهذه ربوبية زاحمت عبودية — قلنا : ليس الأمر كما زعمتَ . ليس ما ذكرت من اوصاف العبودية وانما ذلك من أوصاف الربوبية ، من حيث ظهورها في المظاهر لا من حيث هويتها . فالعبد عبد على اصله ، والربوبية ربوبية على اصلها ، والهوية هوية على أصلها .

فان قلت : فالربوبية ما هي عين الهوية — قلنا : الربوبية نسبة هوية الى عين . والهوية لنفسها لا تقتضي نسبة . وانما ثبوت الاعيان طلبت النسب من هذه الهوية . فهو المخبر عنها بالربوبية .

فاقتضى الحق من الموحدين ان يوحدوا كل أمر ، لترتفع المزاحمة فيزول النزاع فيصح الدوام للعالم . فيتعين عند ذلك ما نفى الأزل بمقولية الابد ، وهو قولك : لا يزال . فلولا النقطة المفروضة في الخط ، التي تشبه الآن — ما فرق بين الأزل والأبد . كما لا نفرق بين الماضي والمستقبل بانعدام الآن من الزمان . ألا إن النقطة هي الربوبية ، ففرقت بين الهوية والاعيان ، وهو المسمّى المظاهر . ألا إن النقطة (هي) انت ، فتميز « هو » و« أنا » بأنت . فاذا علمت هذا ، فأنت موحد ! فأعط الحق ما يقتضيه منك ، اذا اقتضاه .

فان قال لك : أليس قد تبيّن لك ، في المرتبة الأخرى ، أنه ما ثمّ إلا الله ، وبيّنت في ذلك ما بيّنت — فلماذا نزعت هنا هذا المنزع ؟ قلنا : لأنك نسيت نفسك مقتضياً شيئاً ، من

(السؤال الثامن والثمانون) : وما الحق[١٢٨] ؟

كونتا موحّدين، أمرًا ما، لا يقتضي ذاتك» انت ما يعطيك «نحن» نحن. نحن ما أعطيناك، إنما أعطينا للمقتضي. فلا تكلمنا بغير لغتنا. اذ أنت القائل: «وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه» . — يكون المقتضي في هذا الفصل مشهودنا ويخاطبنا اسم آخر ليس مشهودنا. هذا خطاب ابتلاء وتمحيص. »

(فتوحات: ٢: ٩٣-٩٤)

١٢٨) « الجواب : ارادته بالحق هنا، العلم الحاصل بعد العين » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٤٩ ظ) .

« الجواب : سمّي الحق حقًا لاقتضائه من عباده، من حيث أعيانهم ومن حيث كونهم مظاهر، ما يستحق . اذ لا يطلب الحق إلا بالحق، وهو العلم الحاصل بعد العين، وهو ما يجب على المقتضي منه ما يعطيه اذا طلبه منه . — « كتب ربكم على نفسه الرحمة . » اي أوجبها، فصارت حقًا عليه . قال: « وكان حقًا علينا نصر المؤمنين » . فهو الحق لا غيره، وهو المستحق والمحق . وهو الذي تجب عليه الحقوق، من حيث إيجابه لا من حيث ذاته .

فالأعيان لولا ما تستحق ان تكون مظاهر، ما ظهر الحق فيها ولم يكن حكيمًا لما كان يلزم من الخلل في ذلك . ولو لم تكن الهوية تستحق الظهور في هذه المظاهر العينية، لظهور سلطان الربوبية — ما ظهرت في هذه الأعيان . لان الشيء لا يظهر في نفسه لنفسه؛ فلا بد من عين يظهر فيها لها. فيشهد نفسه في المظهر، فيسمى مشهودًا وشاهدًا . فان الاعيان لا تستحق . ولهذا قال: « كتب ربكم على نفسه الرحمة » . ولم يقل إن الأعيان تستحق الرحمة، فان الاعيان ليس لها استحقاق إلّا أن تكون مظاهر خاصة .

فقل للحق ان الحق ما هو سواه فهو حق في الحقيقة
فلم انظر بعيني غير عيني فعين الحق اعيان الخليقة

الحق هو ربه الحق، اسم خَلْق هو « المخلوق به » . خلق كلّ شيء حقُه. أعطى كلّ شيء خَلْقَه: « وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما إلا بالحق » . — « وبالحق أنزلنا. وبالحق نزل » . — « انا ارسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا » . — « وقل: الحق من ربكم » . — الحق طلب الحقوق؛ فبالحق يطلب الحق . — « وماذا بعد الحق إلا الضلال، فأنى تصرفون » .

فالحق الوجود . والضلال الحيرة في النسبة . فالحق المنزّل . والحق التنزيل . والحق المنزّل . والحق من الله، من حيث هو ربنا . ومن صرف عن الحق، الى أين يذهب ؟ — « فأين تذهبون ؟ ان هو الا ذكر للعالمين » = اصحاب العلامات والدلائل .

فالحق المسؤل عنه في هذا السؤال هو المقتضى، الذي يقتضي من الموحّدين لِمَا ذكرناه.

(السؤال التاسع والثمانون) : وماذا[ت٢] بدؤه[١٢٩] ؟

فسمي حقاً ، لوجوب وجوده لنفسه . فاقتضاؤه إنما اقتضى من نفسه فانه إنما اقتضاه من الظاهر في مظهره . وهويته هي الظاهرة في المظهر الذي به كانت ربّية الربوبية . فما اقتضى إلا نفسه . وما كان المقتضي إلا هو . والذي اقتضى هو حق ، وهو عين الحق . فان أعطى فهو الآخذ ؛ وان أخذ فهو المعطي . فمن عرفه عرف الحق ! » .

(فتوحات : ٣ : ٩٤-٩٥)

١٢٩) « الجواب : نور المشاهدة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٩) .

« الجواب : الضمير يعود على الحق . وبدؤه من الاسم « الأول » الذي تسمّى الحق به . قال تعالى : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » . فسمّى لنا نفسه « أوّلاً » . فبدؤه أوليّة الحق . وهي نسبة . لان مرجع الموجودات في وجودها الى الحق . فلا بد ان تكون نسبة الاوّليّة له . فبدؤه نسبة الاوليّة له . ونسبة الاوليّة له لا تكون الا في الظاهر .

فظهوره في العقل الاول ، الذي هو القلم الاعلى ؛ وهو « أول ما خلق الله » . فهو لاول ، من حيث ذلك المظهر لانه أوّل الموجودات عنه . فالذات الازلية لا توصف بالاولية ، وانما يوصف بها الله تعالى .

قال الله تعالى : « سَبَّحَ لِلّٰهِ » = فهو المسبَّح « ما في السموات والارض » = من حيث أعيانهم « وهو العزيز » = المنيع الحمى من هويته ، « الحكيم » = بمن ينبغي ان يسبح له . الضمير يعود على الله من « لله » ملك السموات والارض . ولهذا يسبحه اهلها لانهم مقهورون ، محصورون في قبضة السموات والارض . — « يحيي ويميت » = يحيي العين ويميت الوصف . فالعين لما الدوام من حيث حيث ؛ والصفات تتوالى عليها . فيميت الصفة بزوالها عن هذه العين ويأتي بأخرى . — « وهو » = الضمير يعود على الله . « على كل شيء قدير » = اي شيئية الاعيان الثابتة . يقول : إنما تحت الاقتدار الالهي . — « هو الاول » = الضمير يعود على الله من « لله » . والاول خبر الضمير الذي هو المبتدأ ، وهو في موضع الصفة لله . وسمّى الله إنما هو من حيث المرتبة . وأولّ مظهر ظهر القلم الاعلى ، وهو العقل الاول . والعين ما كانت مظهرًا إلا بظهور الحق فيها ، فهي أوّل . والكلام في الظاهر في المظهر لان به يتميّز . — فالاول هو الله ، والعقل حجاب عليه ويجنّ تتوالى الصفات عليه . ولما كانت الاعيان كلّها ، من كونها مظاهر ، نسبتها الى الالوهية نسبة واحدة ، من حيث ما هي مظاهر ، تسمّى : « الآخر » . فهو « الآخر » آخرية الأجناس ،

ت٢ وم ٧ .

(السؤال التسعون) : وأي شيء فعله في الخلق[١٣٠] ؟

لا آخرية الاشخاص . وهو « الاول » بأولية الاجناس واولية الاشخاص . لانه ما اوجد الا عيناً واحدة وهو القلم او العقل ، كيفما شئت سميته . — ولما كان العالم له الظهور والبطون ، من حيث ما هو مظاهر ، كان هو ، سبحانه ! الظاهر لعينة ما ظهر منه والباطن لعينة ما بطن منه . — « وهو بكل شيء عليم » = شيئية الاعيان وشيئية الوجود ، من حيث اجناسه وانواعه واشخاصه .

فقد تبيّن ان بدءه (الأصل : بدأه) عين وجود العقل الاول . — قال النبي ، صل الله عليه وسلم : « أوّل ما خلق الله العقل » وهو الحق الذي خلق به السموات والارض . وقد مشى معنا هذا في سؤاله في « العدل » في السؤال الثامن والعشرين من هذه السؤالات » .

(فتوحات : ٢ : ٩٥)

(١٣٠) « الجواب : الفناء » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٩ ب) .

« الجواب : إن كان قوله : « في الخلق » ، من كونهم مقدّرين — فالإيجاد ، وهو حال الفعل . وإن كان قوله : « في الخلق » ، من كونهم موجودين — فحال الفناء .

وذلك ان الله تعالى قال للانسان : « اولا يذكر الانسان أنّا خلقناه من قبل » = أي قدّرناه ، « ولم يك شيئاً » = تنبيهٌ على أصله ! فأنعم عليه بشيئية الوجود ، وهو عين وجود الظاهر فيه . وإنما خاطب الانسان وحده ، لانه المعتبر الذي وجد العالم من أجله . وإلا فكل ممكن بهذه المثابة . — هذا الذي تعطيه نشأته ، لكونه مخلوقاً على الصورة الالهية ، وانه مجموع حقائق العالم كله . فاذا خاطبه فقد خاطب العالم كله ، وخاطب اسماءه كلها .

واما الوجه الآخر ، الذي ينبغي ايضاً ان يقال ، وهو دون هذا ، في كونه مقصوداً بالخطاب : وذلك انه ما ادّعى أحد الالوهية — سواه من جميع المخلوقات . وأعمى الخلائق إبليس . وغاية جهله أنه رأى نفسه خيراً من آدم ، لكونه من نار ، لاعتقاده انه افضل العناصر . وغاية معصيته أنه امر بالسجود لآدم فتكبّر في نفسه عن السجود لآدم ، لما ذكرناه ؛ وأبى فعصى الله في أمره فسمّاه الله كافراً . فانه جمع بين المعصية والجهل . والانسان ادعى أنه الرب الاعلى ، فهذا خص بالخطاب في قوله (تعالى) : « أولا يذكر الانسان » = فاذا قلنا : الفناء ، أي أحاله على هذه الصفة ان يكون مستحضراً لها .

واما الفعل الخاص بكل خلق ، فهو إعطاؤه ما يستحقه كل خلق مما تقتضيه الحكمة الالهية . وهو قوله (تعالى) : « اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . أي بيّن أنه ، تعالى ! أعطى كل شيء خلقه ، حتى لا يقول شيء من الأشياء : قد تقصني كذا . فان ذلك النقص الذي يتوهمه هو مَرَضٌ عَرَضَ له ، جهله بنفسه وعدم إيمانه إن كان وصل اليه قوله : « اعطى

(السؤال الحادي والتسعون) : وماذا وكل[١٣١] ؟

كل شيء خلقه » فان المخلوق ما يعرف كماله ولا ما ينقصه ، لانه مخلوق لغيره لا لنفسه . فالذي خلقه انما خلقه له لا لنفسه . فما أعطاه إلا ما يصلح ان يكون له ، تعالى ! والعبد يريد ان يكون لنفسه لا لربه . فلهذا يقول : أريد كذا ، وينقصني كذا . فلو علم انه مخلوق لربه – لعلم أن الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه . – « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » !

وهذه المسألة مما أغفلها اصحابنا ، مع معرفة أكابرهم بها . وهي مما يحتاج اليها في المعرفة المبتدي والمنتهي والمتوسط . فانها اصل الادب الالهي الذي طلبه الحق من عباده . وما علم ذلك إلا القائلون : « ربنا ، وسعت كل شيء رحمة وعلماً » . واما الذين يقولون : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ » – فما وقفوا على مقصود الحق من خلقه الخلق . ولو لم يكن الامر كما وقع – لتعطّل من الحضرة الالهية أسماء كثيرة لا يظهر لها حكم .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » . فنبّه أن كل امر يقع في العالم إنما هو لاظهار حكم اسم إلاهي . واذا كان هكذا الامر – « فلم يبق في الامكان أبدع » من هذا العالم ولا أكمل . فما بقي في الامكان إلا أمثاله الى ما لا نهاية له . فاعلم ذلك ! . – فهذا فضله في الخلق . وأما الجواب العام في هذه المسألة ان يقال : فضله في الخلق ما هو الخلق عليه في جميع أحواله »

(فتوحات ، ٢ : ٩٥-٩٦)

(١٣١) « الجواب : بحمل الاثقال » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٩) .

« الجواب : وكل بمشيئة أوامر الله وانفاذ كلماته لا غير . فهو مخصوص بالشرائع الإلهية ، سنّها من سنّها . كما قال تعالى : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » . فذمهم لما لم يرعوها ، فقال : « فما رعوها حق رعايتها »

وقال ، صلى الله عليه وسلم : « من سنّ سنّة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها » . فاخبر بطلب الثواب بذاته . والشرع بيّن توقيت ذلك الثواب . كقوله : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » . وقال الله لداود : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض » لمن تقدمك أو نيابة عنّا بالاسم الظاهر الذي لنا . فقد خلعناه عليك لتظهر به في خلقي . « فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » .

فعرّفنا ان الحق ، سبحانه ! قد وكل الحق بمشيئة دينه . فقال لخلفائه : احكموا بما يقتضيه امر هذا الوكيل « ولا تتّبعوا الهوى » وهو ارادة النفوس التي يخالفها حكم الحق الموكل بمشيئة الكلمات الالهية المشروعة . وكل مخاطب « راع ومسئول عن رعيته » . فكان

(السؤال الثاني والتسعون) : وما ثمرته[٣] [١٣٢] ؟

العدل صفة هذا الحق ، الذي وكله الله ان يصرفها في المخلوقات بمساعدة الملائه . – والله المرشد ! » . (فتوحات: ٢: ٩٦)

١٣٢) « الجواب: تمييز جميع مراداته » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٩) .

« الجواب : الوقوف دائماً مع العبودة : هذه ثمرته . ولكن جوائح الربوبية تمنع من ظهور هذه الثمرة ، ولا سيما في البشر . ولكن له ثمرة أخرى ، دون هذه الثمرة . وهو ان يكون الحق « سمعه وبصره » وجميع قواه . ثم ان له في كل شخص من البشر بحسب ما أمضاه في سلطانه من أحكامه .

وأما ثمرته التي يصل عليها ولها أكثر العقلاء من اهل الله – فتمييز مراداتهم بمجرد الهمم . فمنهم من ينال ذلك في الدنيا ، ومنهم من يدّخر له ذلك الى يوم القيامة . فان أكابر الرجال ، مع معرفتهم بما خلقوا له ، لو وقفوا مع التكوين قويلوا؛ ولكنهم تركوا الحق يتصرف في خلقه كما هو في نفس الامر ؛ وأبوا ان يكونوا محلاً لظهور التصريف . وان ظهر عليهم من ذلك شيء – فما هو عن قصد منهم لذلك. ولكن الله أجراه لهم وأظهره عليهم لحكمة علمها الحق ، وهؤلاء عن ذلك بمعزل . وأمّا ان يقصدوا ذلك – فلا يتصور منهم ؛ إلا ان يكونوا مأمورين كالرسل ، عليهم السلام . فذلك (التصريف او الفعل مضاف) إلى الله ، وهم لا يعصون الله ما أمرهم . فاهم معصومون من اضافة الافعال اليهم ، اذا ظهرت منهم . فيقولون : هي للظاهر من أسمائه في مظاهره . فما لنا وللدعوى ! فنحن لاشيء ، في حال كوننا مظاهر له وفي غير هذه الحال .

وهذا المقام يسمى راحة الأبد . والقائم فيه مستريح . وهذا هو الذي وفى الربوبيّة حقها . لان الحكم للمرتبة لا للعين . ألا ترى ان السلطان تمشي أوامره في مملكته فلا يسعى ، ويخاف ويرجى . وما هو لكونه انساناً ، فان الانسانية عينه . وإنما هو لكونه سلطاناً ، وهي المرتبة .

فالعاقل من الناس ، يرى ان المتحكم في المملكة انما هي المرتبة لا عينه . اذ لو كان ذلك لكونه انساناً فلا فرق بينه وبين كل انسان . وهكذا كل المظاهر . فرجال الله ينظرون أنفسهم من حيث أعيانهم ، لا من حيث كونهم مظاهر . فكانت المرتبة الحاكمة لا هم . وهذه هي ثمرة الحق ، التي جنوها حين حكموا به وفازوا بالعبودة والعبودية: عبادة الفرائض وعبادة النوافل » .

(فتوحات: ٣: ٩٦-٩٧)

ج[٣] هرته V .

(السؤال الثالث والسبعون) : وما المُحِق[١٤٣] ؟

١٤٣) الجواب : حاصل هذا المقام ، يحكم التبرّي من حوله بإثبات حوله . لا بد من هذا ، فانه ما عند العبد وصف معار اصلًا ؛ بل وصفه له حقيقةً » . (الجواب المستقيم ورقة ٢٦٩ أ — ٢٦٩ ب) .

« الجواب : معطي الحق . وهو الموصوف بالحَكَم العَدْل . وذلك أني أنبهك على تحقيق هذا الامر .

فاعلم أن المحق اذا كان هو معطي الحق — فليس إلا الله . ومقصود الطائفة من المحق أن يكون الصادق الدعوى في طلب الحق الذي يستحقه . وهي مسألة صعبة . فان الله « أعطى كل شيء خلقه » = وهو ما يستحقه ؛ فقد أعطى كل شيء استحقاقه . فهذا الطالب ما يستحقه ، كيف يصح أن يكون ممنوعًا عنه ما يستحقه مع قوله (تعالى) : « أعطى كل شيء خلقه » ؟

فنقول : اعلم ان قوله « اعطى كل شيء خلقه » انما هو عما يقوّم ذات ذلك الشيء ، من الفصول المقومة لذاته . وأما ما تطلبه تلك الفصول من اللوازم والأعراض — فما أعطاه ذلك . لأن أعراض كل ذات لا تتناهى (الاصل : لا يتناهى) ما دام موصوفًا بالبقاء في الوجود . وما لا يمكن فيه التناهي لا يصح ان يدخل في الوجود ، بل على التتالي والتتابع .

فالطالبُ المحق ، هو الذي لا يطلب ما لا تستحقه ذاته من لوازمها وأعراضها . لكن ليس من حقيقته ان يقبل التفكر فيطلب ان يتصف بالفكر — فما هو محق في طلبه . فاذا طلبه الانسان ، إذا كان الغالب عليه الوقوف مع المحسوسات — فله ان يطلب الاشتغال بالتفكر « في خلق السموات والأرض » وجميع الآيات . فهو محق في طلبه ، صادق الدعوى في نفي التفكر عنه لاستيلاء الغفلة عليه . فهذا هو المحق ، الذي لا يعارض طالبُ حقه ، الذي يستحق بذاته طلبهُ ، قولُه (تعالى) : « أعطى كل شيء خلقه » .

فقد تبيّن لك كيف ينبغي لك ان تسأل ؟وماذا تسأل فيه ؟ . — ومن أوصاف المحق ، ان لا يسأل إلا من يده قضاء ذلك الحق المسؤل . فان لم يفعل ، فقد اشتكى إلى غير مشتكى .

كان شيخنا ابو العباس بن العريف الصنهاجي يقول في دعائه : « اللهم ، إنك سددت باب النبوة والرسالة دوننا ، ولم تسدّ باب الولاية . اللهم ، مما هيّئت اعلى رتبة في الولاية لأعلى وليّ عندك — فاجعلني ذلك الوليّ » فهذا من المحققين ، الذين طلبوا ما يمكن ان يكون حقًا لهم . وان كانت النبوة والرسالة مما يستحقه الانسان ، عقلًا ، لكون ذاته قابلة لها — لكن لما علم ان الله قد سدَّ بابها شرعًا وسدّ باب نبوّة الشرائع — لم يسألها وسأل ما يستحقه . فان الله ما حجز الولاية علينا .

(السؤال الرابع والتسعون) : واين محل[٣] من يكون محقًّا[٣] (١٣٤) ؟

ومن هذا الباب، سؤال الوسيلة، وان لم يكن مثلها لكن يقرب منها. وإنما الحقناها بما في التشبيه لقرينة حال. «وهي(=الوسيلة)درجة في الجنة لا ينالها او لا تبغي إلا لرجل واحد». قال، صلى الله عليه وسلم: «وأرجو أن أكون أنا. فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة». فلو سأل واحد منا ربه الوسيلة في حق نفسه – كما سأل ما لا يستحقه. لانه ربما لا ينالها إلا شخص، هو على صفة مخصوصة. والله يقول لنا: «وابتغوا إليه الوسيلة»: إلا انه لم يقل: «منه». فقد يمكن ان يكون هذه من التوسل. وتلك الصفة إما موهوبة او مكتسبة؛ ولم يبينها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا حجرها على واحد بعينه. ولم يقل إنها لا تبغي إلا لمن هو افضل عند الله من البشر. ونحن نعلم أنه أفضل الناس عند الله، بما نصّ على نفسه. فكان يكون ذلك تحجيرًا. ولم ينصّ ايضًا في وحدانية ذلك الشخص: هل هو لعينه أو واحد لتلك (الاصل : تلك) الصفة. فتكون الأحدية لتلك الصفة. ولو ظهرت في ألف لكان كل واحد من الألف له الوسيلة. لان تلك الصفة تطلبها. فلما لم يقع من الشارع شيء من هذا كله – ساغ لنا ان نطلبها لأنفسنا. ولكن يتعيّن من ذلك الايثار، حسن الأدب مع الله في حق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي اهتدينا بهديه. وقد طلب منا ان نسأل الله له الوسيلة، فتعيّن علينا، أدبًا وإيثارًا ومروءةً ومكارم خلق، ان لو كانت لنا – لوهبناها له. إذ كان هو الأولى بالأفضل من كل شيء، لعلوّ منصبه وما عرفناه من منزلته عند الله.

ونرجو بهذا أن يكون لنا في الجنة ما يماثل تلك الدرجة، مثل قيمة «المثل» عندنا في الحكم المشروع في الدنيا. وذلك ان بيننا وبينه، صلى الله عليه وسلم، أخوة الإيمان؛ وان كان هو السيد الذي لا يقاوم ولا يكاثر. ولكن قد انتظم منا في سلك الايمان. فقال تعالى: «إنما المؤمنون اخوة». وثبت في الشرع ان الانسان «اذا دعى لأخيه في ظهر الغيب – قال الملك: له ولك بمثله، ولك بمثليه». فاذا دعونا له بالوسيلة، وهو غائب عنا، قال الملك: ولك بمثله. فهي له والمثل للداعي. فينال من درجات مجموعة ما يناله صاحب الوسيلة من الوسيلة: مثل قيمة المثل. لان الوسيلة لا مثل لها، أيّ ما تمّ درجة واحدة تجمع ما جمعت الوسيلة. وان كانت ما جمعت الوسيلة متفرقًا في درجات متعددة ولكن للوسيلة خاصية الجمع». (فتوحات: ٢: ٩٧-٩٨)

(١٣٤) «الجواب: في حضرة بقاء الدين والاقتدار والتأييد». (الجواب المستقيم، ورقة ٢٦٩ ب).

ح[٣] المحل V .

خ[٣]+ فانه في بدء الامر تابع للحق حتى يصير حقا فيقوم(فيقرن F)الحق به مؤيدًا له VF

(السؤال الخامس والتسعون وما سكينة[٢٥] الأولياء.[١٣٤] ؟

« الجواب : « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » . فان الحقوق ما يطلبها المحق إلا وهو في « المقعد الصدق » ، لانه صادق . ولا تطلب الحقوق إلا عند من يعلم أنه قادر على إيصالها ، ومَلِك ماضي الكلمة في ملكه . فلهذا قلنا : « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

فاجتمع هذا المحق مع المتقي في هذا المحل . والمتقي « في جنات ونهر » . وان كان المحق كذلك ، ولكن لما كان الفرق بين المتقي وبين هذا معلوماً — لم تكن الجنات كالجنات . ووقع الاشتراك في كونه محقاً مع المتقي . فالمتقي ما نال « المقعد الصدق » إلا من كونه محقاً « عند مليك مقتدر » = حضرة بقاء العين والاقتدار والتأييد .

ولهم أماكن مختلفة بحسب الحضرات التي يتولونها من حضرات الاسماء . تحاوم الاسم « الصادق » و « الحق » و « الناصر » ، وما في معنى هذه الاسماء . فأي اسم ، من هؤلاء الاسماء ، نظر اليه كان محله . وأما في الذاتيات — فمحله الواجبات . وأما في الالوهية فمحلها بالظفر بالمطلوب . وأما في العبودية فمحلها عبودية الفرائض . وأما في الأحوال فالتأثير . وأما في المقامات فالصدق . وأما في الجنان فارتفاع الحجب . وأما في الدنيا فالفعل بالحسنة . وأما في المعارف فانه يكون مع الحق من حيث أمره . ومع خلقه من حيث عدله ووفاؤه (الاصل: ووفائه) . فيعين كل طالب حق . فمقامه لا يتزلزل ولا يتخرم . فان له في كل حضرة مقعداً ومجلساً . فحيث حلّ فهو في بيته فلا يقطر وان كان صائماً ؛ ولا يقصر الصلاة فانه مقيم غير مسافر . لان السفر « فيه » (= في الحق حيث تفنى فيه المسافات والابعاد) لا يجوز فيه القصر ولا الفطر ! فهو كمثل عائشة ، قالت : « لا أقصر فاني أمّ المؤمنين ، فحيث ما حللت حللت عند نبيّ فأنا في بيتي » . والسفر « اليه » (= الى الحق ، حيث تثبت المسافات والابعاد) بخلاف ذلك . فانه يقصر ويفطر . فهو فطر الصائمين » .

(فتوحات : ٢ : ٩٨)

(١٣٥) « الجواب : استنادهم الى ما يجدونه حقاً في صدورهم مما يكبر ، يتوفية المقام . ولكن بعد ما يطأون (في الاصل: يطؤون) ما وراء « جابرقا » و « جابرصا » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٩ب) .

« الجواب: اذا تتبع الولي الاسباب وقطعها سبباً سبباً ، وولي مملكة جابرقينا وجابرسينا ، وجمع له بين المشرقين والمشارق والمغربين والمغارب ، واطلع على المشرق والمغرب ، ووفّى المقامات حقها ، وأعطى الانبياء حقهم وانبياء الشرائع حقهم ، وأنصف الملأ الأعلى ، وأحال الأسماء الإلهية على الاسماء الإلهية ، ولم يتوجه لمخلوق عليه حق — فانه غير وارث ولا رسول

د٢ + الانبياء وسكينة V .

(السؤال السادس والتسعون) : وما حظ المؤمنين من قوله : ﴿ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَالْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾[١٣٥] ؟

ولا امام ولا صاحب منصب يخاف عليه فيه عدله او جوره ، ويرجي فيه فضله ؛ وجُهل قدره ، ولم يعرف حقه ؛ وتمنّى الزمن ، في موطن ما ، ان تكون مثله ؛ ومع هذا كله . فتلك سكينة الاولياء التي يسكنون اليها .

فهم العرائس المصانون . رجالٌ ، أيُّ رجال ! يسكنون اليها (= الى سكينة الاولياء). ولا تحصل لهم دائمًا . لكن لهم اختلاسات فيها كالبروق . فهي تشبه المشاهد الذاتية ، في كونها لا بقاء لها . فان المواطن تحكم عليهم وطبيعتهم تطلبها .

فان اتفق ان تحصل لأحد وقتًا ، قصيرًا أو طويلًا ، فان الدوام محال – فيكون الوليّ في تلك الحال ناظرًا لمن يطلب طبيعته . فيكون كالمتفرج ويرى الظاهر فيه المسئول ذلك ، إما يعطيها ما سألته وإما بتنها . وهو مهيمن على ذلك من حيث عينه . ألا ان هذه هي العبودة المحضة ، التي لا يخالطها شوب من الربوبية » . (فتوحات : ٢ : ٩٨)

(١٣٥) «الجواب : فن الظهور (نحل الصواب : الظاهر ، اي حظ المؤمنين من الاسم الظاهر) ، حصولهم في مقام لا يؤثر فيهم كون ليس لهم فيه (في اسمه تعالى : الظاهر) مقام . و(حظهم من (الاسم) الباطن ، حصولهم في مقام تؤثر فيهم جميع الأكوان ، ويفعلون بلا مباشرة . و (حظهم من (الاسم) الاول ، رؤية وجودهم ، من حيث هم و(حظهم) من (الاسم) الآخر ، مشاهدتهم عليهم بكونهم آخر موجود وجد » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : كل مصدق بأمر لم يعلمه إلا من الذي اخبره به ، فقد بطن عنه ما صدقه فيه وظهر له ما صدقه فيه عند اخباره . وحظه من الاول ان لا يتوقف في تصديقه عند سماعه المخبر منه . وحظه من الآخر ان يتردد فيما صدقه فيه ، إن قدح فيه نظره عند التفكر فيما اخبره به المخبر . وذلك ان الايمان نور شمسائي ، ظهر عن صفة مطلقة لا تقبل التقييد . فاذا خالط هذا النور بشاشة القلوب – كان حكمه ما ذكرناه من « الظاهر والباطن والاول والآخر » .

والمؤمنون فيه على قسمين : مؤمن عن نظر واستدلال وبرهان . فهذا لا يوثق بايمانه ولا يخالط نوره بشاشة القلوب . فان صاحبه لا ينظر اليه إلا من خاف حجاب دليله . وما من دليل ، لاصحاب النظر ، إلا وهو معرض للدخل فيه والقدح ولو بعد حين . فلا يمكن لصاحب البرهان ان يخالط الايمان بشاشة قلبه . وهذا الحجاب بينه وبينه . والمؤمن الآخر ، (هو) الذي كان برهانه عين حصول الايمان في قلبه ، لا أمر آخر . وهذا هو الايمان الذي يخالط بشاشة القلوب . فلا يتصور في صاحبه شك . لان الشك لا يجد محلًا يصيره . فان

(السؤال السابع والتسعون) : وما حظ المؤمنين من قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (١٣٧) ؟

محله الدليل . ولا دليل ! فلا تُعَوِّل على ما يرد الدَّخَل ولا الشك . بل هو مزيد .

ثم ان المؤمن على نوعين : مؤمن له عين فيه نور بذلك العين اذا اجتمع بنور الايمان ادرك المغيبات ، التي متعلقها الايمان . ومؤمن ما لعينه نور سوى نور الايمان . فنظر اليه به . ونظر الى غيره به . فالاول يمكن ان يقوم بعينه امر يزيل عنه النور ، الذي اذا اجتمع بنور الايمان أدرك الامور التي الزمه الايمان القول بها . وهو المؤمن الذي لا دليل له . وينظر الاشياء بذاته . فيدخله الشك ممن يشككه . فان فطرته تعطي النظر في الادلة ، إلا انه لم ينظر . فاذا نبِّه تنبَّه . مثل هذا ، ان لم يسرع اليه الذوق وإلا خيف عليه .

والمؤمن الآخر ، هو بمنزلة الخد الذي قد تسوَّت بنيته واستوت آلات قواه وتركبت طبقات عينه . غير انه ما نفخ فيه الروح . فلا نور لعينه . فاذا كان الانسان جذه المثابة من الطمس ، فنفخ فيه روح الايمان فأبصرت عينه بنور الايمان الاشياء – فلا يتمكن له ادخال الشكوك عليه جملة ورأساً . فانه ما لعينه نور سوى نور الايمان . والضد لا يقبل الضد . فما له نور في عينه يقبل به الشك والقدح فيما يراه .

وهكذا هي الاذواق . وهذه فائدتها . ومن لم يكن الايمان جذه المثابة ، والفطرة جذه المثابة – وإلا فقليل ان يجيء منه ما جاء من الانبياء الاولياء من الصدق بالالهيات .

فالفطرة الذكية التي تقبل النظر في المعقولات ، من اكبر الموانع لحصول ما ينبغي ان يحصل من العلم الالهي . والفطرة المطموسة هي القابلة ، التي لا نور لعينها من ذاتها إلا من نور الايمان . فلا تعطي فطرته النظر في الامور على اختلافها .

ومما يعضد ما قلناه ، حديث ابار النخل ؛ وحديث نزوله بأصحابه يوم بدر ؛ وقوله : « ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان نتبع إلا ما يوحى اليّ » = اي ما لي علم ولا نظر بغير ما يوحى اليّ . وهذا باب لا يعرفه إلا اهل الله .

ومنزلة الانبياء فيما يأخذونه من الغيب بطريق الايمان من الملائكة ، منزلة المؤمنين مع ما يأخذونه من الانبياء . فالانبياء مؤمنون بما يلقي اليهم الروح . والروح يؤمن بما يُلقى اليه من يُلقي اليه .

فحظ المؤمن ، كائناً من كان ، من « الظاهر » ما ألقي اليه . وحظه من « الباطن » ما استتر به . وحظه من « الاول » علم الخواطر الالهية . وحظه من « الآخر » الحاق بقية الخواطر بالخواطر الالهية . وهو تسليم قوله : « وهو بكل شيء عليم » .

(فتوحات : ٢ : ٩٨–٩٩)

(١٣٧) « الجواب : إني أراكم من خلف ظهري » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : المؤمن هو الذي ذكرناه ، الذي لا نور لعين بصيرته الا نور الايمان . و « كل شيء » عنده « هالك » عن شيئيته : شيئية ثبوته وشيئية وجوده ، « إلا وجهه » = وجه الشيء ذاته وحقيقته ؛ «وجهه» مظهره : اي ظهوره في الاعيان .

فأما شيئية ذاته – فهي المستثناة ، لا بد من ذلك . وأما « وجهه » في المظهر – فبعض اصحابنا يدخلها في « كل شيء هالك » وبعض اصحابنا لا يدخلها هنالك . فأما من أدخلها في الهلاك – فاعتبر مظهرًا خاصًا ، وأما من لم يدخلها في الهلاك – فاعتبر انها لا تخلو عن مظهر ما .

وأما نحن – فلا تثبت اطلاق لفظ الشيئية على ذات الحق . لانها ما وردت ولا خوطبنا بها ؛ والأدب أولى . والاولى ان يكون هنا « وجهه » مثل اطلاق الاول ، يريد المظهر لا هويته . والمظهر له مناسبة بينه وبين الوجه الظاهر فيه . فلذلك صح الاستثناء . قال تعالى : « انما قولنا لشيء اذا اردناه » فسماه شيئًا في حال هلاكه .

فكل شيء موصوف بالهلاك . لان « هالك » خبر المبتدأ الذي هو « كل شيء » = أي كل ما ينطلق عليه اسم « شيء » فهو « هالك » ، وان كان مظهرًا ؛ فهو في حال كونه مظهرًا في شيئية عينه وهي هالكة . فهو « هالك » في حال اتصافه بالوجود ، كما هو «هالك» في حال اتصافه بالهلاك ، الذي هو العدم .

فان العدم للممكن ذاتي . اي من حقيقة ذاته ان يكون معدومًا . والاشياء اذا اقتضت أمورًا لذواتها ، فمن المحال زوالها . فمن المحال زوال حكم العدم عن هذه العين الممكنة ، لسواء اتصفت بالوجود او لم تتصف . فان المتصف بالوجود ما هو عين الممكن ، وانما هو الظاهر في عين الممكن ، الذي سمي به الممكن مظهرًا لوجود الحق .

و « كل شيء هالك » . فلهذا نفينا عن الحق اطلاق لفظ الشيء عليه . ويكون الاستثناء استثناء منقطعًا ، مثل قوله (تعالى) : « فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلا إبليس » . – ألا ترى لمّا استحق الحق الوجود لذاته – استحال عليه العدم . كذلك اذا استحق الممكن العدم لذاته ، استحال وجوده . فلهذا جعلناه مظهرًا .

قلنا في كتاب «المعرفة» : إن الممكن ما استحق العدم لذاته ، كما يقوله بعض الناس . وانما الذي استحقه الممكن تقدم اتصافه بالعدم على اتصافه بالوجود لذاته ، لا العدم . ولهذا قبل الوجود بالترجيح . إذن ، فالعدم المرجح عليه الوجود ليس هو العدم المتقدم على وجوده ، وانما هو العدم الذي له في مقابلة وجوده ، في حال وجوده : ان لو لم يكن الوجود لكان العدم . فذلك العدم هو المرجح عليه الوجود في عين الممكن . هذا هو الذي يقتضيه النظر العقلي .

وأمّا مذهبنا ، فالعين الممكنة إنما هي ممكنة لان تكون مظهرًا ، لا لان تقبل الاتصاف

(السؤال الثامن والتسعون) : وكيف خص ذكر الوجه[١٣٨] ؟

(السؤال التاسع والتسعون) : وما مبتدأ[د٣] الحمد[١٣٩] ؟

بالوجود : فيكون الوجود عينها . اذن ، فليس الوجود في الممكن عين الوجود . بل هو حال لعين الممكن به يسمى الممكن موجوداً ، مجازاً لا حقيقة . لان الحقيقة تأبى ان يكون الممكن موجوداً .

فلا يزال « كل شيء هالك » (الاصل : لك) كما لم يزل . لم يتغير عليه نعت ولا تغير على الوجود ذات . فالوجود وجود والعدم عدم . والموصوف بأنه موجود موجود . والموصوف بأنه معدوم معدوم . هذا هو نفس اهل التحقيق من اهل الكشف والوجود .

ثم يندرج في هذه المسألة الوجه الذي له الانام . وهو الوجه المفيد بالنظر ، وبه تجز عن المخلف . فاذا كان الشخص يرى من خلفه مثل ما يرى من أمامه — كان وجهاً كله ، بلا قفا . فلا يهلك من هذه صفته . لأنه يرى من كل جهة . فلا يهلك ! لان العين تحفظه بنظرها . فمن اي جهة جاءه من يريد هلاكه — لم يجد سبيلاً اليه ، لكشفه اياه . كما يتقي صاحب الوجه المفيد من يأتيه من أمامه ».

(فتوحات : ٢ : ٩٩—١٠٠)

١٣٨) « الجواب : لان السبحات محرقة فلا مقابل له » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٩ ب) .

« الجواب : لان السبحات له فهي مهلكة . والمهلك لا يكون هالكاً . — فاعلم أن الحقائق لا تتصف بالهلاك — ووجه الشيء حقيقته — وانما يتصف بالهلاك الامور العوارض للحقائق ، من نسبة بعضها الى بعض . فهي ، أعني الامور العوارض ، حقيقتها ان تكون عوارض ؛ فلا يهلك وجهاً عن كونها عوارض .

فاتصف من عرضت له نسبة ما ، ثم زالت تلك النسبة بحصول نسبة أخرى ، فازالة تلك النسبة العارضة تسمى هلاكاً ، ويسمى ذلك المحل المنسوب اليه ذلك العارض بزواله هالكاً . — وما ثم إلا حقائق ، فما ثم إلا وجوه غير هالكة . وما ثم إلا نسب ، فما ثم إلا هالك . فانظر كيف شئت ، وانطق بحسب ما تنظر . — فلهذا خص الوجه لاستحالة اتصافه بالهلاك ، اذ كانت الحقيقة لا تهلك ».

(فتوحات : ٢ : ١٠٠)

١٣٩) « الجواب : الاطلاق ثم التقييد . هذا مبتدأ الحمد في اللسان . وفي الحال ، التقييد مبتداه ثم الاطلاق ثم التقييد . واما مبتداه ، من حيث اثره في الحامد وقيامه في

د٣ مبتدع V .

المحمود - فظهوره مبتداه . وان اراد بالحمد عين الحمد : المبدأ الكلي - فقد اشير الى ذلك عبارة اصحابنا - فمبتداه امر آخر . والظاهر انه يريد بالحمد هنا : الفاتحة ، يعني في الصلاة . فمبتداه اسم الاسم ، وهو الذي اراده بلا شك » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٩) .

« الجواب : مبتدؤه الابتداء ، وهو المعنى القائم في نفس الحامد . فلا بد ان يكون مقيداً من طريق المعنى انه ابتداء حادث . فلا بد له من سبب . والسبب عين التقييد . و(أما) من طريق التلفظ بالحمد فمبتدؤه الاطلاق . ثم بعد ذلك ، ان شئت قيدته بصفة فعل إلاهي ، وان شئت نزهته في التقييد بصفة تنزيه . وما ثَمَّ اكثر من هذا .

وان أراد السائل بالحمد هنا العبد - فانه عين الثناء على الحق بوجود عينه - فمبتدؤه الحق الذي أوجده لما أوجده . - وإن اراد بالحمد ومبتدئه اضافة المبدأ الى الحمد ، أي بما يبتدأ الحمد - فتقول بالوجود ، سواء اقترنت سعادة بذلك الموجود أو شقاوة . - وإن اراد بالحمد حمد العبد - فمبتدؤه الوهب والمنة . - وإن أراد بمبدأ الحمد حمد الحق الحمد ، او حمد الحق نفسه ، او حمد الحق لمخلوقاته - فالثناء على الثناء بانه ثناء ثناء عليه - فمبتدؤه اضافة الخلق اليه تعالى ، لا إلى غيره . - وإن اراد بالحمد الفاتحة ، التي هي السورة - فمبتدؤها الباء ، ان نظرت الحق من حيث دلالة الخلق عليه . فيكون « بسم الله الرحمن الرحيم » آية من سورة الفاتحة . وان كان ينظرها من حيث الحق مجرداً عن تعلق العالم به للدلالة - فمبتدؤها « الألف » من « الحمد لله » . - فلم تتصل بأس ولا ينبغي لها ان تتصل ولم يتصل بها . فاخبا تعالى في الفاتحة ان يتصل بها . فانه ما اتصل بها في المعنى إلا اسماؤها ، واسماؤها عينها . فلم يتصل بها سواها .

فان اراد بالحمد عواقب الثناء - فمبتدؤه من حيث هو عواقب رجوع اسمائه اليه . فانه لا أثر لها إلا في الظاهر في المظاهر . وعلى الظاهر يقع الثناء . وليس الظاهر في المظاهر غيره . فلا مُثْنِي ولا مَثْنَى ولا مُثْنَى عليه إلا هو ! والتبس على الناس ما يتعلق بالمظاهر من الثناء . فلهذا قالوا : ما مبتدأ الحمد ؟

والظاهر من سؤال هذا السائل ، انه اراد « الفاتحة » . لانه قال في السؤال الذي يليه : ما معنى آمين ؟ وهي كلمة شرعت بعد الفراغ من الفاتحة . فهو ثناء بدعاء . وكل ثناء بدعاء فهو مشوب . ولهذا قال : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين . فنصفها لي ونصفها لعبدي . ولعبدي ما سأل » . فآمين المشروعة لما فيها من السؤال ، وهو قوله : « اهدنا » . ومن طلب شيئاً من أحد فلا بد ان يفتقر اليه بحال طلبه . فمبتدأ الحمد على هذا هو الافتقار . ولهذا سأل في الاجابة .

ثم انه ما اوجب له الافتقار اليه إلا اثر غناه تعالى بما افتقر اليه فيه . فمبتدأ الحمد غنى

(السؤال المرفق مائة) : وما قوله : « آمين »[١٤٠] ؟

الحق عن العالمين . قال الله تعالى : « والله غني عن العالمين » . وقال تعالى : « يا ايها الناس ، انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد » . فقدّم الفقر على الغنى في اللفظ . وغنى الحق مقدم في المعنى على فقراء الخلق اليه . لا ، بل هما سؤالان قدّم احدهما على الآخر . فان الغنى عن الخلق لله ازلاً ، والفقر للممكن في حال عدمه الى الله ، من حيث غناه ، ازلاً . والموصوفان بالازل نفياً وأثباتاً ، لا يتقدّم احدهما على الآخر . لأن الازل لا يصح فيه تقدّم ولا تأخّر . فافهم ! » .

(فتوحات : ٣ : ١٠٠-١٠١)

(١٤٠) « الجواب : آمين ، على ما تقدم في الحمد من الاوصاف والاصناف . إلى هذا اشارة الحكيم بالسؤال . ومن حيث الكلمة (لعل الصواب : الحكمة) ، فلها اجوبة أخر لا تقتضيها اجوبة السائل ، فاذا جئنا بهذا الجواب وهو بالقصر » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٩ ب — ٣٥٠ ا) .

« الجواب : لما اراد الثناء بما هو دعاء في مصالح ترجع الى الداعي — قيل له : قل : آمين . وهي بقصر وتمدّ . قال الشاعر في القصر :

تباعد مني فطحل وابن أمه — أمين — فزاد الله ما بيننا بعدا

= يعني حتى يتفرد مع الحق الذي لا يقبل البينية . — وقال الشاعر في المدّ :

يا رب ، لا تسلبني حبها أبدًا ويرحم الله عبدًا قال : آمينا!

= يعني في دعائه باليد بينه وبين من يقبل البينيّة . (لعل هذا التفسير خاصّ بالبيت الاول ؛ وتفسير البيت الاول خاص بالثاني) .

ورود في الشرع الجهر بها (= بآمين) والاخفاء . لان الامر ظاهر وباطن . فالباطن يطلب الاخفاء والظاهر يطلب الجهر . غير ان الظاهر أعمّ . فاذا جهر بها (بآمين) فقد حصل حظ الباطن . واذا اسرّ بها لم يعلم الظاهر ما جرى . والباطن خصوص ، والاسرار بها خاص للخاصّ . والظاهر عموم ؛ فالجهر بها عامّ ، لعامّ وخاصّ .

« من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » . وكل مذكور في ملأ مذكور في النفس . وما كل ما هو مذكور في النفس يكون مذكورًا في الملأ .

قوله ، عليه السلام : « او استأثرت به في علم غيبك » ، هي اسماء لا يعلمها إلا هو . فعلم السر أتم . « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » = فالمفاتيح العلم بها خاص له . والغيب « قد يظهر على غيبه » من يرتضيه من رسله : « إلا من ارتضى من رسول » .

(السؤال الحادي ومائة) : وما السجود[٣] (١٦١) ؟

فالسر بها (= بآمين) أتم سماعاً من الجهر بها. والجهر بها اعم منفعة من السر (في الاصل: + السر) بها. – « آمين »= معناه أجبْ دعاءنا . لا ، بل معناه : قصدنا اجابتك فيما دعوناك فيه . يقال : أمَّ فلان جانب فلان ، اذا قصده : «ولا آمين البيت الحرام » أي قاصدين. –وخفف آمين للسرعة المطلوبة في الاجابة . والخفة تقتضي الاسراع في الاشياء .

«فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة – فقد غفر له » = ولم يقل: فقد اجيب . لانه لو اجيب لما غفر له . لان المهدي ماله ما يغفر . – أي: فمن آمن مثل تأمين الملائكة . هذا معنى الموافقة ، لا الموافقة الزمانية . وقد تكون الموافقة الزمانية ، فيحوجهم زمان واحد عند قولهم: آمين .

والملائكة ، لا يخلو قولها في « آمين » ، هل يقولونها متجسّدين أو يقولونها غير متجسّدين ؟ فان قالتها متجسّدة – فربما يريد الموافقة الزمانية خاصة . لان التجسُّد يحكم عليهم بالاتيان بلفظة « آمين » ، اي بترتيب هذه الحروف وان قالتها غير متجسدة – فلم تبق الموافقة إلا ان يقولها العبد بالحال التي يقولها الملك .

والحال هنا ، على اقسام . اخال الواحدة ، أن يقولها بربّه . فان الملك يقولها كذلك . او يقولها بحاله ، التي تقتضيها ذاته . فالانسان اذا قالها كذلك ، قالها من حيث روحانيته لا (الأصل: إلا) من حيث حسه . أو يقولها بحكم النيابة ، فالملك قد يقولها كذلك. او يقولها وهو هو ، فالملك قد يقولها كذلك .

وقول الانسان بحكم النيابة هو قوله بحكم الصورة التي خلق عليها . فينبغي للانسان ان يقولها بكل حال يقولها الملك ، من هذه الاقسام التي ذكرناها. فاذا قالها ، غفر الله له . ولا بُدَّ ان يستره الله عن كل امر يضاد الهداية بما تنتج ؛ لا بد من ذلك . لان نتيجة الهداية سعادة . وقد يكون في حياته الدنيا غير مهدي ، والعناية قد سبقت ، فيجني ثمرة الهداية. – فلهذا لم يقل: أجيب ، وقال: « غفر ».

فهذا معنى قوله : آمين. – وكل داعٍ يجب ما دعا . فان الله يستجيب له بأمر سعادي لا بما عينه . فقد أجابه بما فيه سعادته ، اذ هي المطلوب الاعم في كل دعاء داعٍ » .

(فتوحات : ٢ : ١٠١)

(١٦١) الجواب : سجود الظلال. ولما سجد قلب سهل بن عبدالله ، اجابه البادراني : الى الابد . فالسجود بقاؤه في تجليه ابدًا . فان الله تعالى ما كتب ايمانًا في قلب فمحاه ؛ ولا اسجد قلب عين لتجليه فأقامه . فالسجود لا يكون الا خلف حجاب القربة : وهو مشاهدة معرفتك بك ». (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠) .

[٣] السحر V .

« الجواب : السجود ، من كل ساجد ، مشاهدة اصله الذي غاب عنه ، حين كان فرعاً عنه . فلما اشتغل بفرعيته عن أصليته – قيل له: اطلب ما غاب عنك ، وهو أصلك الذي عنه صدرت . فسجد الجسم الى التربة ، التي هي اصله . وسجد الروح الى الروح الكل ، الذي عنه صدر . وسجد السرّ لربه ، الذي به نال المرتبة .

والاصول كلها غيب . ألا تراها قد ظهرت في الشجر أصولها (وهي) غيب ؟ فان التكوين غيب لا يشاهده أحد . الجنين يتكوّن في بطن أمه ، فهو غيب . حيوان آخر يتكوّن في البيض ، فاذا كمل تشقّق عنه . – الحق اصل وجود الاشياء وهو غيب لها . – السجود تحية الملوك . لما كان السوقة دون الملك ، فالملك له العلو والعظمة ، فاذا دخل عليه من دونه سجد له : اي منزلتنا منك بمنزلة السفل من العلوّ ! فامر نظروا اليه من حيث مكانته ومرتبته لا من حيث نشأته ، فامر على السواء في النشأة .

سجدت الملائكة لمرتبة العلم ، فكان سجودها « لا علم لنا » = وهو الجهل . – سجدت الظلال لمشاهديتها عمّن خرجت عنه ، وهي الاشخاص . يستتر ظل الشخص عن النور بأصله ، الذي انبعث عنه لئلا يفنيه . فلم يكن له بقاء إلا بوجود الاصل . – فلا بقاء للعالم إلا بالله . – « السلطان ظل الله في أرضه » . « العرش ظل الله يوم القيامة » . العرش عين الملك . يقال: ثُلَّ عرش الملك ، اذا اختلّ ملكه عليه . – « الرحمن على العرش استوى » = اي على ملكه .

سجود القلب ، اذا سجد ، لا يرفع أبداً . لان سجوده للاسماء الالهية لا للذات . فانها هي التي جعلته قلباً ، فهي تقلبه من حال الى حال ، دنيا وآخرة . فلهذا سمّته قلباً . فاذا تجلى له الحق مقلباً ، فيرى انه في قبضة مقلبه ، وهو الاسماء الالهية التي لا ينفك مخلوق عنها . فهي المتحكّمة في المخلوق . فمن شاهد لها ، وهو الذي سجد قلبه ؛ ومن غير مشاهد لها ، فلا يسجد قلبه . وهو المدّعي ، الذي يقول : أنا ! وعلى من هذه صفته ، يتوجّه الحساب والسؤال يوم القيامة ، والعتاب ان عوقب . ومن سجد قلبه ، فلا دعوى له : فلا حساب ولا سؤال ولا عتاب .

فلا حالة اشرف من حالة السجود ، لانها حالة الوصول الى علم الاصول . فلا صفة اشرف من صفة (هذا) العلم . فانه معطي السعادة في الدارين ، والراحة في المنزلتين .

اصل الاعداد الواحد . فلا وجود لها الا به . وبه يفاؤها . فمن لا علم له بأحدية خالقه ، كثرت آلهته . وغاب عن معرفته بنفسه ، فجهل ربه .

فصار عبداً لكل رب فهو محل لكل ذنب

والسجود يقتضي الديمومة . ولهذا قال الشيخ ايضاً لسهل بن عبدالله : « الى الأبد » . لان السجود الخضوع . والاسجاد ادامة النظر . وكل من تطأطأ فقد سجد .

(. . . . .) وقلن له : اسجد لليلى فأسجدا

(السؤال الثاني ومائة) : وما بدؤه[١٤٢] ؟

اي طأطأ البعير لها ليركب . — والتطأطؤ لا يكون إلا عن رفعة . والرفعة في حق كل من سوى الله ، خروج عن أصله . فقيل له : اسجد ، اي تطأطأ عن رفعتك المتوهمة ، واخضع من شموخك بان تنظر إلى أصلك فتعرف حقيقتك . فانك ما تعاليت حتى غاب عنك أصلك . فطلبك على أصلك طلبك الغيب عينه . ومن عرف اصله عرف عينه ، اي نفسه . ومن عرف نفسه عرف ربه . ومن عرف نفسه لم يرفع رأسه . ومن عرف ربه رفع رأسه ، فانه مخلوق على صورة ربه . ومن نعوت ربه « الرفيع » فلا بد ان يرفع نفسه .

وبعد هذه الرفعة ، يقال له : اسجد ! فيسجد وجهه . فيسجد قلبه . فيرفع وجهه من السجود ، فلا يدوم . فان القبلة التي سجد لها لا تدوم . والجهة التي سجد لها لا تدوم . فرفع لرفع المسجود له . وسجد القلب فلم يرفع . لانه سجد لربه : فقبلته ربه . وربه لا يزول . ولا ترتفع عن الوجود وبوبيته . فالقلب لا يرفع رأسه من سجوده أبدًا . لان قبلته لا ترتفع . — فهذا معنى السجود ! »

(فتوحات : ٢ : ١٠١-١٠٢)

١٤٢) « الجواب : السجود الذي اسجدك » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠) .

« الجواب : بدؤ السجود ، الذي اسجدك ، تنوع الحالات وتغيّراتها عليك . فتنبهك ذلك على النظر في السبب الموجب لذلك . فطلبتَ ، فعلمتَ انك معلول . وكل معلول فلا قيام له بنفسه . فان المريض لا يرض نفسه . وما كل ما تقام فيه من تغير الاحوال يرضيك . واذا لم يرضك فقد أمرضك . فلا بد من مرض . ومن طلب المرض فقد افتقر . فعلمت انك فقير . واذا افتقرت فهو كسر فقار ظهرك ، لم يتمكن لك ان ترفع رأسك . فانت موصوف بالسجود دائمًا . فهذا بدؤ السجود .

وان اراد بقوله : « ما بدؤه » ، يعني : ما بدؤه فيك ؟ اي ما هو اول شيء يعطيك السجود من منحه ؟ — فنقول : القربة . والقربة مؤذنة ببعد متقدم . وكل ذلك يؤدي الى الحد ، ولاحد : فانه « البعيد القريب » . فاعلم ان الهوية المسماة « بالبعيد القريب » هي التي اعطتك السجود ، وبدأك بها منحةً ؛ ولكن من كونها تسمى « بالبعيد القريب » . فتقلتك (الهويّة) من النعت البعيد الى النعت القريب : فتقلتك من البعد الى القربة .

قال الله تعالى : « واسجد واقترب » . ولم يقل غير ذلك من الاحوال . فدل على ان أول شيء يمنحك السجود هو القربة . ثم بعد ذلك تعطى من مقام القربة ما يليق بالمقربين من الملائكة والنبيين . فتلك عوارف التقريب . والتقريب منحة السجود . والسجود منحة النظر في تغير الاحوال . والنظر في تغير الاحوال حكم تغير الاحوال . وتغير الاحوال

(السؤال الثالث ومائة) : وما قوله : « العزة ازاري (ب١٥٦) [١٤٢] ؟

كونك على « الصورة » : « كل يوم هو في شأن » . وكونك على « الصورة » كونك مظهرًا للاسماء الالهية . وكونك مظهرًا للاسماء الالهية أعطاك الرفعة . ولاتصافك بالرفعة أمرت بالسجود . فاعلم ! ».

(فتوحات : ٣ : ١٠٢)

١٤٣) « الجواب : الغير الذي تجده عند إدراك السر الذي به ظهور العالم » (الجواب المستقيم ، ورقة ١٥٠ب) .

« الجواب : لما أنعم الحق على عباده ، حين دعاهم الى معرفته ، بالتنزل بضرب الامثال لهم ، ليحصلوا بذلك القدر ، الذي اراد منهم ، ان يعلموا منه . مثل قوله : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » لقوله : « الله نور السماوات والارض » . فجعل النور نفسه ، لانه خبر المبتدا ، اي صفته وهويته النور ، من حيث إنه الله النور . وأين نور المصباح من قوله : « الله نور » ؟

وكذلك الخبر : « ان الله تعالى اذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان » . وأين كلام الحق مقام من ضرب « سلسلة على صفوان » ؟ كذلك قوله : « العزة ازاري » . فأنزل نفسه لعباده منزلة من يتميل الاتصاف بالازار . وان مراده من علمهم به في مثل هذا ما يناسب الازار وما يستره الازار .

واعلم ان الازار يتخذ لثلاثة امور : الواحد للتجمل ؛ والثاني للوقاية ؛ والثالث للستر . والمقصود في هذا الخبر ، من الثلاثة ، الوقاية خاصة . لاجل قوله : « العزة » فان العزة تطلب هنا الامتناع من الوصول اليه . لان الازار ينبي موضع الغيرة ان تطلع اليه الابصار .

ولما كانت العزة منيعة الحمى ان يتصف بها على الحقيقة خلق من المخلوقات ، او مبدع من المبدعات ، لاستصحاب الذلة للمخلوقات والمبدعات وهي تناقض العزة ؛ فلما اخبر الحق بالعزة منع العقول ان تدرك قبول الاعيان للايجاد ، الذي اتصفت به وتميزت لأعيانها ؛ فلا يعلم ما سوى الله صورة ايجاده ولا قبوله ولا كيف صار مظهرًا للحق ولا كيف وصفه بالوجود ، فقيل فيه : موجود ، وقد كان يقال فيه : معدوم — فقال الحق : « العزة ازاري » . اي هي حجاب على ما من شأن النفوس ان تتشوف الى تحصيله . ولهذا قال : « من نازعني واحدًا منها قصمته » . فأخبر انه ينازع في مثل هذه الصفات ، التي لا تنبغي إلا له : مثل العزة والعظمة والكبرياء . — والعزة الغير ، الذي تجده ، عن ادراك السر الذي به ظهور العالم » .

(فتوحات : ٢ : ١٠٢-١٠٣)

ز ٢ العز ٧ .

(السؤال الرابع ومائة) : وما قوله : « العظمة ردائي »[١٤٤] ؟

١٤٤) الجواب : الامر الذي يمنعك من ادراكه عند الرؤية (الاصل : الرئة)» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠) .

« الجواب : ان الله قد نبّه ان العظمة ، التي تلبسها العقول ، رداء يحجبها عن ادراك الحق عند التجلي . فليست العظمة صفة للحق على التحقيق ، وانما هي صفة للقلوب العارفة به . فهي عليها كالرداء على لابسه . وهي من خلفه تحجبها تلك العظمة عن الادلال عليه وتورثها الاذلال بين يديه .

ومن الدليل على ان يوصف العظيم بالعظمة ، انه راجع الى العالم به لا اليه ، ان المعظّم اذا رآه من لا يعرفه لا يجد لذلك النظر في قلبه هيبة ولا تعظيماً ، لجهله به . والذي يعلم مكانته ومنزلته ، له على قلبه سلطان العالم به فيورثه ذلك العالم عظمة في قلبه . فهو الموصوف بالعظمة لا العظيم .

وقد ورد خبر ، ذكره ابو نعيم الحافظ في دلائل النبوة : « أن جبريل اخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فأسرى به في شجرة فيها كوكري طائر . فقعد جبريل في الواحد وقعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الآخر . فلما وصلا الى السماء الدنيا — تدلّى اليها شبه الرفرف ، درًّا وياقوتاً . فأما جبريل فغشي عليه . واما محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فبقي على حاله ، ما تغير عليه شيء . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : فضلت فضل جبريل عليّ في العلم . لانهُ علم ما رأى وأنا ما علمتهُ » . فالعظمة التي حصلت في قلب جبريل ، انما كانت من علمه بما تدلّى اليه . فقلب جبريل هو الموصوف بتلك العظمة . فهي حال للرائي لا للمرئي . ولو كانت العظمة حالاً للمرئي لعظّمهُ كلّ من رآه . والامر ليس كذلك .

وقد ورد في الحديث الصحيح : « ان الله يتجه يوم القيامة لهذه الأمة ، وفيها منافقوها ، فيقول : انا ربكم ! فيستجيبون منه ، ولا يجدون له تعظيماً . ويتكررنه لجهلهم به . فاذا تجلّى لهم في العلامة التي يعرفونه بها انهُ ربهم ، حينئذٍ يجدون عظمته في قلوبهم وهيبة » . — فلهذا قلنا في قوله : « العظمة ردائي » ، اي هي رداؤه الذي تلبسهُ عقول العلماء به . وجعلها رداء ولم يجعلها ثوباً ، فان الرداء لهُ كيفيّة واحدة والثوب مؤلف من كيفيات مختلفة ، ضمّ بعضها الى بعض ، كالقميص . وكذلك ايضاً الازار مثل الرداء . ولم يقل : السراويل ، لان ذلك اقرب الى الاحدية من الثوب المؤلف ، لتنوّع الشكل » . (فتوحات : ٢ : ١٠٣)

(يتبع)